سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه 22

حديث ما من أحد يدخل الجنة بعمله

وقفات وتأملات

إعداد الأستاذ الدكتور
فالح بن محمد بن فالح الصغير
أستاذ السنة وعلومها بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

دار ابن الأثير

سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه (٢٢)

حديث ما من أحد يدخل الجنة بعمله

وقفات وتأملات

إعداد الأستاذ الدكتور

فالح بن محمد بن فالح الصغير

أستاذ السنة وعلومها بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٥٣٦

هاتف : ٤٢٨٥٣٩٠ المعرض : ٢٦٧٧٥٨٤ فاكس : ٢٦٧٢٥٥٨

التوزيع : ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ - ٠٥٠٦١٠٨٧٠٧ الغربية : ٠٥٠٦٤١٦٠١٩

الموزع بجمهورية مصر العربية : ٠١٧٢٧٨٤٥٣٩

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على النبي محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين إنك حميد مجيد، أما بعد:

فإن من خير ما ينشغل به الإنسان قراءة أحاديث رسول الله ﷺ والبحث في معانيها ليسهل حفظها وفهمها وتطبيق ما جاء فيها.

وهذا بحث جديد من أحاديث رسول الله ﷺ الواردة في الصحيحين حيث قال: «ما من أحد يدخله عمله الجنة» فقيل ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني ربي برحمة»[1]. فيه دلالات عظيمة يحتاجها المسلم لرسم معالم منهج حياته التي ينبغي أن يصوغ حياته في ضوئها، ومن ذلك بناؤها على التوازن، واليسر وعد التكليف بما لا يطاق، وفي الوقت نفسه عدم التساهل وضياع الأوقات بدون عمل ولا غاية، كما فيه إشارة إلى وضوح الغاية التي يجب أن ينشدها المسلم وهي الجنة وما يجب لها من الإعداد والاستعداد، والإشارة إلى بعض الآفات التي تعرض له في حياته ومسيرته

---

(١) سيأتي تخريجه.

العبادية والدعوية كالعجب في العمل، والغرور والتعالي.

هذه المسائل وغيرها نعرضها بشيء من البسط في ضوء الخطة التالية:-

المقدمة.

أهمية الحديث، وأسباب اختياره.

نص الحديث.

الوقفة الأولى: تخريج الحديث.

الوقفة الثانية: غريب الحديث.

الوقفة الثالثة: نظرة عامة على الحديث.

الوقفة الرابعة: الاجتهاد في العمل الصالح.

الوقفة الخامسة: التسديد والمقاربة في العبادة.

الوقفة السادسة: اليسر في الدين.

الوقفة السابعة: الفأل وعدم اليأس.

الوقفة الثامنة: إياك والعجب.

الوقفة التاسعة: دخول الجنة برحمة الله.

الخاتمة.

الفهارس.

نص الحديث

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا، ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا».

٢- وعن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحدا الجنة عمله» قالوا، ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة».

٣- وفي رواية عنها: «سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل».

الوقفة الأولى
تخريج الحديث والحكم عليه

أولًا: حديث أبي هريرة، متفق عليه؛ أخرجه البخاري، والطيالسي[١]، والبيهقي[٢] من حديث آدم بن أبي إياس عن سعيد المقبري[٣] ومسلم، من طريق أيوب عن محمد بن سيرين[٤].

وابن ماجه، وأبو يعلى[٥] وعنه ابن حبان[٦]، من طريق الأعمش عن أبي صالح[٧].

وأحمد من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن سيرين[٨].

كلاهما [محمد بن سيرين، وسعيد بن أبي سعيد المقبري] عن أبي هريرة

---

(١) مسند الطيالسي (٤: ١٤٤ رقم ٢٤٤١).

(٢) السنن الكبرى(٣: ١٨ رقم ٤٩٢٨).

(٣) صحيح البخاري(ص: ١١٢٢ رقم ٦٤٦٧). كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، من حديث آدم بن أبي إياس عن سعيد المقبري عنه.

(٤) صحيح مسلم(ص: ١٢٢٦ رقم ٧١١٣) كتاب صفات المنافقين ، من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة.

(٥) مسند أبي يعلى(٣: ٣٠٩ رقم ١٧٧٥).

(٦) صحيح ابن حبان(٢: ٦٢ رقم ٣٥٠).

(٧) سن ابن ماجه (ص: ٦١٢ رقم ٤٢٠١). كتاب الزهد، باب التوقي على العمل.

(٨) مسند أحمد (١٦ ٦٦ رقم ١٠٠١٠).

ﷺ، وألفاظهم متقاربة.

وأخرجه البخاري(١)، والنسائي(٢)، وابن حبان(٣)، والبيهقي(٤)، من طريق معن بن محمد عن أبي سعيد، به، ولفظه: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**».

ثانيًا: حديث عائشة، متفق عليه، البخاري(٥)، ومسلم(٦) من طريق موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع عائشة ﵂، فذكره.

قال البخاري: قال أظنه ، عن أبي النضر، عن أبي سلمة، عن عائشة.

ثم علق البخاري بعده عن عفان فقال: وقال عفان: حدثنا وهيب عن موسى بن عقبة قال: سمعت أبا سلمة، عن عائشة، عن النبي ﷺ سددوا وأبشروا.

قال ابن حجر: وفاعل « أظنه» هو علي بن المديني، شيخ البخاري في هذا الحديث، وكأنه جوز أن يكون موسى بن عقبة لم يسمع هذا الحديث من أبي سلمة بن عبد الرحمن، وأن بينهما فيه واسطة، وهو أبو النضر سالم بن أبي

---

(١) صحيح البخاري(ص: ٩ رقم ٣٩) كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

(٢) سنن النسائي(ص: ٦٩١ رقم ٥٠٣٧). كتاب الإيمان،باب الدين يسر.

(٣) صحيح ابن حبان(٢: ٦٣ رقم ٣٥١).

(٤) السنن الكبرى(٣: ١٨ رقم ٤٩٢٩).

(٥) صحيح البخاري(ص: ١١٢١ رقم ٦٤٦٤).

(٦) صحيح مسلم(ص: ١٢٢٧ رقم ٢٨١٨). كتاب صفات المنافقين.

أمية المدني التيمي.

قال ابن حجر: لكن قد ظهر من وجه آخر أن لا واسطة؛ لتصريح وهيب، وهو: ابن خالد عن موسى بن عقبة بقوله: سمعت أبا سلمة.

قال ابن حجر: هذا هو النكتة في إيراد الرواية المعلقة بعدها عن عفان عن وهيب، قال: وطريق عفان هذه وصلها الإمام أحمد، قال: حدثنا عفان، وهي الرواية هذه....[١].

وأخرجه أحمد[٢]، وإسحاق بن راهويه[٣]، وابن منده[٤]، والقضاعي[٥]، كلهم من طريق موسى بن عقبة، به.

الرواية الثالثة: أخرجها البخاري، من طريق سعد بن إبراهيم ، ومسلم من طريق موسى بن عقبة كلاهما عن أبي سلمة، عن عائشة ﵂ .

وأخرجه أحمد[٦]، والنسائي[٧]، من طريق موسى بن عقبة، به.

والحديث أخرجه مسلم، من طريق أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر عن النبي ﷺ مثل رواية أبي هريرة ﵁، ورواه من حديث أبي الزبير عن

---

(١) فتح الباري(١١: ٢٩٩).

(٢) المسند(٤١: ٤١٦ رقم ٢٤٩٤١).

(٣) المسند(٢: ٤٨٤).

(٤) التوحيد(٢: ١١٩ رقم ٦٩٨).

(٥) مسند الشهاب(٢: ٤٨٤ رقم ٥٩١).

(٦) المسند (٤٣: ٣٦٣ رقم ٢٦٣٤٢).

(٧) السنن الكبرى(١٠: ٣٩٢ رقم ١١٨١٢).

جابر ط قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل أحدا منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة من الله»(١).

وهنالك روايات أخرى بنحو هذا الحديث، منها:

قوله: «يسروا، ولا تعسروا وبشروا، ولا تنفروا». متفق عليه البخاري ومسلم، من طريق شعبة بن الحجاج، قال : (حدثني أبو التياح، عن أنس، عن النبي ﷺ به، بلفظه(٢). قال مسلم: «سكنوا» بدل «يسروا».

«يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا». قاله عليه الصلاة والسلام لمعاذ وأبي موسيب لما بعثهما إلى اليمن. متفق عليه، البخاري ومسلم، من طريق شعبة بن الحجاج شعبة، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال: فذكره(٣).

---

(١) صحيح مسلم (ص: ١٢٢٦ رقم ٢٨١٧). كتاب صفات المنافقين.

(٢) صحيح البخاري(ص: ١٧ رقم ٦٩) كتاب العلم، باب ما كان النبي ق يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا يفروا. ومسلم(ص: ٧٦٩ رقم ٤٥٢٥). كتاب الجهاد.

(٣) صحيح البخاري(ص: ٥٠١ رقم ٣٠٣٨)، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه. ومسلم(ص: ٧٦٩ رقم ٤٥٢٦). كتاب الجهاد.

الوقفة الثانية
شـرح الغريـب

[يتغمدني الله برحمة]

قال الأصمعي: قوله: ـ «يتغمدني» أي: يلبسني ويغشيني[١].

قال أبو عبيد: ولا أحسب قوله «يتغمدني» إلا مأخوذاً من غمد السيف لأنك إذا أغمدته فقد ألبسته إياه وغشيته به[٢]. ومعناه: إلا أن يسترني الله، ويغمرني، ويلبسني برحمة منه.

[سددوا]

التَسْديدُ: هو التوفيقُ للسداد، وهو الصوابُ والقصدُ من القول والعمل. ويقال للرجل: أَسْدَدْتَ ما شئتَ، إذا طلب السَدادَ والقصدَ. وأَمْرٌ سَديدٌ وأَسَدٌّ، أي قاصدٌ. وقد اسْتَدَّ الشيءُ، أي استقام. والسَدادُ بالفتح: الاستقامةُ والصوابُ. وكذلك السَدَدُ مقصورٌ منه[٣].

وقال في القاموس: سدده تسديدا: قومه ووفقه للسداد أي: الصواب

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد٣: ١٦٥).

(٢) المرجع السابق(٣: ١٦٦).

(٣) الصحاح في اللغة(١: ٣٠٩).

من القول والعمل . وسد يسد : صار سديدا .

وسد الثلمة كمد : أصلحها ووثقها[١].

قال ابن منظور: السد إغلاق الخلل وردم الثلم، سده يسده سدا فانسد واستد وسدده أصلحه وأوثقه[٢].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠].

قال عكرمة: القول السديد: لا إله إلا الله.

وقال غيره: السديد: الصدق.

وقال مجاهد: هو السداد.

وقال غيره: هو الصواب.

[وقاربوا]

قال في اللسان: وقاربوا أي: اقتصدوا في الأمور كلها واتركوا الغلو فيها والتقصير، يقال قارب فلان في أموره إذا اقتصد[٣]. ومن معانيه: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

[واغدوا- وروحوا]

الغدو ضد الرواح وقد غدا من باب سما وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾

---

(١) القاموس المحيط(١: ٣٦٧).

(٢) لسان العرب(٣: ٢٠٧).

(٣) المرجع السابق(١: ٦٦٦).

أي بالغدوات فعبر بالفعل عن الوقت كما يقال أتاه طلوع الشمس أي وقت طلوعها [١].

قال في النهاية: الغدوة : المرة من الغدو، وهو سير أول النهار نقيض الرواح. وقد غدا يغدو غدوا. والغدوة بالضم: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس [٢].

وقيل: الغدوة هي الخروج من الغدو ما بين صلاة الصبح إلى الزوال، والروحة هي الخروج في الرواح ما بين الزوال إلى غروب الشمس.

وقال ابن حجر: الغدو وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه والروحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها [٣].

[الدلجة]

قال في اللسان: الدلجة سير السحر، والدلجة سير الليل كله والدلج والدلجان والدلجة الأخيرة عن ثعلب الساعة من آخر الليل والفعل الإدلاج وأدلجوا ساروا من آخر الليل وأدلجوا ساروا الليل كله [٤].

قال في الصحاح: أدلج القوم، إذا ساروا من أول الليل. والاسم الدلج

---

(١) مختار الصحاح(١: ٤٨٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٣: ٦٤٩).

(٣) فتح الباري(٦: ١٤).

(٤) لسان العرب(٢: ٢٧٢ مادة دلج).

بالتحريك، والدلجة والدلجة أيضا مثل برهة من الدهر وبرهة. فإن ساروا من آخر الليل فقد ادلجوا بتشديد الدال؛ والاسم الدلجة والدلجة[١].

قال ابن حجر: والدلجة بضم المهملة وسكون اللام ويجوز فتحها وبعد اللام جيم سير الليل يقال: سار دلجة من الليل أي ساعة فلذلك قال شيئا من الدلجة لعسر سير جميع الليل فكأن فيه إشارة إلى صيام جميع النهار وقيام بعض الليل والى أعم من ذلك من سائر أوجه العبادة، وفيه إشارة إلى الحث على الرفق في العباد[٢].

[القصد]

قصد: القصد استقامة الطريق قصد يقصد قصدا فهو قاصد وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ومنها جائر أي ومنها طريق غير قاصد وطريق قاصد سهل مستقيم وسفر قاصد سهل قريب وفي التنزيل العزيز لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك قال ابن عرفة سفرا قاصدا أي غير شاق والقصد العدل[٣]. المعنى اقتصدوا في العبادة ولا تحملوا منها ما لا تطيقونه. والقصد في العبادة، عدم الغلو فيها، وعدم التقصير.

---

(١) الصحاح (١: ٢١٠ مادة دلج).

(٢) فتح الباري(١١: ٢٩٨).

(٣) لسان العرب(٣: ٣٥٣).

[أدومها]

دام الشيء يدوم ويدام، دوما ودواما وديمومة: سكن. وفي الحديث: نهى أن يبال في الماء الدائم، وهو الساكن. ودومت القدر وأدمتها، إذا سكنت غليانها بشيء من الماء. والمداومة على الأمر: المواظبة عليه. وأما قولهم: ما دام، فمعناه الدوام(١).

قال العيني: قوله أدومها بصيغة أفعل التفضيل قيل: أدومها كيف يكون قليلا ومعنى الدوام شمول الأزمنة مع أنه غير مقدور أيضا، وأجيب بأن المراد بالدوام المواظبة العرفية وهي الإتيان بها في كل شهر أو كل يوم بقدر ما يطلق عليه عرفا اسم المداومة(٢).

نقل المناوي عن الغزالي أنه قال: مثال القليل الدائم كقطرات من الماء تتقاطر على الأرض على التوالي فهي تحدث فيها خضرا لا محالة ولو وقعت على حجر والكثير المتفرق كماء صب دفعة لا يتبين له أثر(٣).

قال المناوي: إنَّ تارك العمل بعد الشروع كالمعرض بعد الوصل والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع والمراد المواظبة العرفية وإلا فحقيقة الدوام

---

(١) الصحاح(١: ٢١٨) بتصرف.

(٢) عمدة القاري(٣٣: ٢٣٩).

(٣) فيض القدير(٣: ٦٣٤).

شمول جميع الأزمنة وهو غير مقدور[١].

[اكلفوا]

يقال: كلفت به كلفا فأنا كلف من باب تعب أحببته وأولعت به والاسم الكلافة بالفتح وكلف الوجه كلفا أيضا تغيرت بشرته بلون علاه،... والتكاليف المشاق أيضا الواحدة تكلفة، وكلفت الأمر من باب تعب حملته على مشقة ويتعدى إلى مفعول ثان بالتضعيف فيقال: كلفته الأمر فتكلفه مثل حملته فتحمله وزنا ومعنى على مشقة أيضا[٢].

قال في المعجم الوسيط: كلفه أمرا أوجبه عليه وفرض عليه أمرا ذا مشقة ويقال كلفه الأمر كذا من الجهد أو المال استلزمه منه ويقال: كلف الأمر أو الشيء كذا من الجهد أو المال أنفقه في سبيل تحصيله.

وتكلف، تعرض لما لا يعنيه والأمر تجشمه على مشقة والشيء حمله على نفسه وليس من عادته[٣].

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير(١: ٧٥).

(٢) المصباح المنير (٨: ١٣٧).

(٣) المعجم الوسيط(٢: ٧٩٥).

الوقفة الثالثة
نظرة عامة على الحديث

اشتمل الحديث على ألفاظ، تعتبر قواعد، وأسس مهمة لعمل المسلم، ومنها: فاشتملت على:

- توجيه المسلم إلى كل ما ينفعه في دنياه وأخراه.
- ترسيخ عقيدة متينة في المسلم، وهي الجزم بأن المسلم لن يخرج من كنف الله وستره، وحوله وقوته، ولن ينفعه شيء مهما اجتهد فيه، إلا بتوفيق الله، وحفظه، وستره.
- **لن ينجي أحدا عمله من النار إلا أن يتغمده الله برحمة**، بمن في ذلك رسول الله ﷺ، أفضل الخلق أجمعين.
- **والسعي إلى السداد، في الأمور**، والمقاربة فيما لم يقدر عليه، فيعمل بقدر استطاعته، مع النية الحسنة، ولا يكلف يكلف نفسه من العمل ما لا يطيق.
- **الغدو والرواح**، والاستعانة بشيء من الدلجة، وهو أول الليل، أو آخره.
- **البشارة للمؤمن إن هو اتبع ما أرشده الله تعالى إليه ورسوله**، من كمال التوكل عليه، والحرص على سداد النقص والخلة، والمحاولة فيما لم يقدر عليه، ولو بالمقاربة، والروحة والغدوة وعدم العجز والكسل، واختيار الأوقات المناسبة لذلك، والرأفة بنفسه بحيث لا يكلفها ما لا تطيق، إن

فعل ذلك كله، فليبشر بتوفيق، وتسديد، ومغفرة، ورحمة، فدخول الجنة.

فمن أمعن النظر في هذا الحديث، وجال تمعنه في ألفاظه: علم أن هذا الحديث منهج يعمل المسلم من خلاله، ووفق معانيه، ليحقق أهدافه، ويصل إلى مبتغاه، وهو دخول الجنة.

فإن النبي ﷺ أكد في هذا الحديث، وغيره، بألفاظ لا مجال للشك فيها ولا للتردد، أكد على قاعدة التيسير في أمور العبادات كلها، سواءً ما كان منها يخص العبد نفسه، وما كان يخص غيره.

فأمر ﷺ بالتيسير على النفس في العبادة، ونهى عن تكليف النفس ما لا تطيق، وأرشد إلى إن مراعاة نفس الإنسان وبدنه وعدم التشديد عليه في العبادة مما يكون سببا لتقبله، وإقباله على العمل، والمداومة عليه، وعدم الملل، ثم إن القليل الذي يداوم عليه الإنسان أفضل من الكثير الذي ينقطع، فالعمل القليل مع المداومة والمواظبة خير من العمل الكثير مع ترك المراعاة والمحافظة؛ لأن العمل القليل يصل إلى الأكثر من الكثير الذي يفعل مرة أو مرتين ثم يترك ويترك العزم على العمل الصالح مما يثاب عليه ، وأيضاً أن العمل الذي يداوم عليه هو المشروع، وأن ما توغل فيه بعنف ثم قطع فإنه غير مشروع[1].

قال النووي: في الحديث الحث على المداومة على العمل، وإن قليلة الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان كذلك؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى،

---

(١) بتصرف من مشكاة المصابيح(٤: ٤٧٩)، وقد نسبه هو أيضا إلى الباجي.

بخلاف الكثير المنقطع، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة(١).

وقال ابن الجوزي: إنما أحب الدائم لمعنيين:

أحدهما: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل، وهو متعرض للذم، ولذا ورد الوعيد في حق من حفظ آية ثم نسيها وإن كان قبل حفظها لا يتعين عليه.

والثاني: أن مداوم الخير ملازم للخدمة، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتاً ما، كمن لازم يوماً كاملا ثم انقطع- انتهى(٢).

قلت: وهذا يتعلق بالمرء نفسه، وكيفية ترويضها، وتعويدها على العبادة، بالطريقة التي أرشده رسولنا ﷺ إليها، وذلك أدعى لتقبل العمل، والمداومة عليه.

وأما ما يتعلق بتيسير الإنسان على غيره، فقد رسم رسول الله ﷺ في ذلك منهجا للمسلم، وبين له كيفية التعامل مع غيره، في أمور العبادات، وغيرها، وقد جاء في ألفاظ هذا الحديث برواياته: «**يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا، وبشروا ولا تنفروا**».

«**وبشروا**» أي: بشروا بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته وشمول عفوه ومغفرته، من التبشير وهو إدخال السرور، والبشارة،

---

(١) شرح مسلم(٣: ١٣٣).

(٢) نقلا عن فتح الباري(١: ١٠٣).

الإخبار بخبر سار.

وقوله: «**بشروا**» بعد قوله يسروا، فيه جناس خطي ولم يكتف به بل أردفه بقوله «**ولا تنفروا**» لما مر وهو من التنفير، أي: لا تذكروا شيئا تنهزمون منه.

وهذا يشمل التيسير على النفس - كما سبق- وعدم التكليف عليها، ويشمل أيضا التيسير على الناس، وعدم التعسير عليهم، أو التعامل معهم بما يقلقهم، ويضجرهم، ويذعرهم، ويهربهم من اتباع الحق، ويصدهم عنه.

فمن الجوانب الملحة التي توجب على المسلم الرفق بالناس: تخولهم في المواعظ، والتذكير، وعدم الإكثار عليهم بقدر يملهم، ويثقل عليهم، فينفروا وذلك لأن التيسير في التعليم يورث قبول الطاعة ويرغب في العبادة ويسهل به العلم والعمل، وهذا القول من النبي ﷺ، من الأهمية بمكان، وتظهر أهميته، أنه أكده بقوله «**ولا تعسروا**» لا تشددوا أردفه بنفي التعسير مع أن الأمر بشيء نهي عن ضده تصريحا لما لزم ضمنا للتأكيد[1].

وقد تمثل النبي ﷺ ذلك قولا، وفعلا، فالقول هو ما سبق من قوله: يسروا، بشروا، سكنوا، ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

خامسًا: بين النبي ﷺ أن أوقات المرء كلها تصلح للعبادة فيتزود المرء من أي عمل في أي وقت فليس كل العبادات في وقت معين محدد من لم يدركه

---

(١) شرح المرماني على البخاري بتصرف(٢٢: ٢٢٣).

لا يدرك أي عبادة بل منها ما له وقت ومنها ما هو مشاع الوقت فحينما يتسير للمرء العبادة المشاعة يعملها .

وفي قوله ﷺ «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»: كمال التوكل على الله تعالى، وتفويض الأمور إليه، إعانة وتوفيقاً، وقبولاً، وتواضعاً، ورجاءاً ورغبة ورهبة، وكمال التواضع من رسول الله ﷺ لله تعالى، فمع شرف مقامه وعلو منزلته، وتطمينه من الله تعالى أنه أفضل خلقه، إلا أنه يتواضع ويغرس ذلك في أمته؛ ليبعدهم عن العجب الذي يحبط الأعمال، ويرشدهم إلى التمسك بالله وتفويض الأمر إليه؛ لأنه لن يضيع من اعتمد عليه، ولجأ إليه.

وهذا الحديث من جوامع الكلم؛ لاشتماله على الدنيا والآخرة؛ لأن الدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء فأمر المصطفى ﷺ فيما يتعلق بالدنيا بالتسهيل وفيما يتعلق بالآخرة بالوعد بالجميل والإخبار بالسرور تحقيقا لكونه رحمة للعالمين في الدارين، وفيه الأمر بالتيسير بسعة الرحمة والنهي عن التنفير بذكر التخويف أي من غير ضمه إلى التبشير وتأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه والأخذ بالأرفق، وتحسين الظن بالله، لكن لا يجعل وعظه كله رجاء بل يشوبه بالخوف، فيجعلها كأدنى حافر والعلم والعمل كجناحي طائر .

فتلخص من هذا كله: عدة قواعد كلها تقرر مبدأ اليسر في الشريعة وتتنوع في إثبات هذا الأصل:

أولًا: قاعدة عامة في أحكام الشريعة أنها يسر.

ثانيًا: التحذير والوعيد لمن يشاد الدين ويطلب العسر فيه أنه ينقلب عليه

ثالثًا: الأمر من النبي ﷺ في القيام بأحكام الشريعة ويجعلها في حالتين:

١- إما السداد، وهو إصابة للحكم والعمل إصابة دقيقة وهو في هذه الحالة يسر؛ لأنه ذكر أولا أن الدين كله يسر فإن أصبته فقد أصبت اليسر .

٢- وإما المقاربة، وهذا من التيسير فقد لا تتقن العمل كله أو لا تصيب الراجح منه فيكتفى منك في الشرع بالمقاربة رفعا للحرج .

رابعًا: يبشرنا النبي ﷺ بالخير في التمسك بهذه الشريعة بما يرجع نفعه للمكلف في الدنيا والآخرة ليكون عونا له على طاعة الله .

خامسًا: بيان من النبي ﷺ أن أوقات المرء كلها تصلح للعبادة فيتزود المرء من أي عمل في أي وقت فليس كل العبادات في وقت معين محدد من لم يدركه لا يدرك أي عبادة بل منها ما له وقت ومنها ما هو مشاع الوقت فحينما يتسير للمرء العبادة المشاعة يعملها .

سادسًا: كمال التوكل على الله تعالى، وتفويض الأمور إليها، إعانة وتوفيقا، وقبولا، وتواضعا، ورجاءاً ورغبة ورهبة.

سابعًا: كمال التواضع من رسول الله ﷺ لله تعالى، فمع شرف مقامه وعلو منزلته، وتطمينه من الله تعالى أنه أفضل خلقه، إلا أنه يتواضع ويغرس ذلك في أمته؛ ليبعدهم عن العجب الذي يحبط الأعمال، ويرشدهم إلى التمسك بالله وتفويض الأمر إليه؛ لأنه لن يضيع من اعتمد عليه، ولجأ إليه.

الوقفة الرابعة
الاجتهاد في العمل الصالح

دل الحديث على ضرورة الاجتهاد في العمل الصالح، فالنبي ﷺ وجه إلى التسديد بعد أن بين أن العبرة في رحمة الله تعالى، فما على المسلم إلا أن يجتهد في العمل الصالح.

والعمل الصالح هو الذي يجمع بين إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى، وأن يكون على منهاج النبي ﷺ.

وقد كان الاجتهاد في العمل الصالح، هو سمة عمل الملائكة، ووظيفة الرسل، وسيرة أتباعهم، وهو دأب السابقين، والعلماء الربانيين، ومن أمثلة ذلك:-

١- **اجتهاد الملائكة :**

قال الله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٠].

وقال الله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزُّمَر:٧٥].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ

وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٣٨].

وقال النبي ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما في السماء الدنيا موضع قدم ، إلا عليه ملك ساجد أو قائم»، وذلك قول الملائكة ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات:١٦٦](٢).

ومثله عن ابن مسعود رضي الله عنه(٣).

٢- اجتهاد الرسل :

وقال عن الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠] وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء:٣] وقال عن داود عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:١٧] وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٣٠] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٤].

وقد كان نبينا محمد ﷺ يعبد ربه ويجتهد في العبادة، ويطيل القيام

---

(١) أخرجه أحمد(٥: ١٧٣ رقم ٢١٥٥٥)، والطبراني في الكبير(٢: ٢٥٥ رقم ١٧٣٠). وهو حديث صحيح لغيره.

(٢) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة(١: ٢٦٠). وهو حديث صحيح.

(٣) المرجع السابق.

والسجود، حتى تورمت قدماه.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه قالت عائشة يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: «**يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا**»(١).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث المغيرة ﷺ أنه قال: إن كان النبي ﷺ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه، أو ساقاه فيقال له فيقول: «**أفلا أكون عبدا شكورا**»(٢).

٣- اجتهاد السلف الصالح، في الأعمال الصالحة :

وعلى درب الملائكة المقربين، والرسل الكرام سار صحابة رسول الله ﷺ، فاجتهدوا رضوان الله عليهم في العمل الصالح أيما اجتهاد، وكذلك فعل التابعون رضي الله تعالى عن الجميع.

فوصف الله تعالى الجميع بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠] وقال تعالى في الثناء على المجتهدين في العمل الصالح، وما لهم عند الله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

---

(١) أخرجه أحمد (٦: ١١٥ رقم ٢٤٨٨٨).

(٢) أخرجه البخاري(ص: ١٨١ رقم ١١٣٠) كتاب التهجد، باب قيام النبي ق الليل.

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فُصِّلَت:٣٣] .

أمثلة من اجتهاد الصحابة:

وقد ضرب الصحابة رضوان الله تعالى أروع الأمثلة في الاجتهاد في العمل الصالح، فكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه جامعا بين أنواع من العمل الصالح في اليوم الواحد، ففي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائما**». قال أبو بكر أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة**». قال أبو بكر أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينا**». قال أبو بكر أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضا**». قال أبو بكر أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة**»(١).

فالمتأمل في فعل أبي بكر رضي الله تعالى عنه يجده جمع بين أنواع من العمل الصالح في يوم واحد، فقد كان صائما، واتبع جنازة، وأطعم مسكينا، وعاد مريضا، في يوم واحد، فلا شك أنه كان مجتهدا متلمسا لأنواع من العمل الصالح، واختار أحسنها، وأفضلها، وأكثرها أجرا، وهذا من فقهه رضي الله عنه، وحسن تصرفه، حتى في العبادات.

---

(١) أخرجه مسلم(ص: ١٠٥١ رقم ١٠٢٨) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر ﷺ.

فالصيام عبادة جليلة فريدة، لم يكن جزاءها مقدر، بل يجازي الله تعالى الصائم من عنده، يعني: بغير حساب، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزُّمَر:١٠].

ومن أكثر من ينطبق عليهم الصبر، هم الصائمون؛ إذ يدع طعامه، وشرابه لله عز وجل، وكل عبادة غير الصيام أمكن أن يشرك فيها غير الله تعالى إلا الصوم، فأي فضل حازه أبو بكر ط فقط من هذه العبادة ناهيك عن باقي العبادات التي صاحبتها في اليوم نفسه، وقد قال النبي ﷺ: **«من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا»**(١).

وكذا في صلاة الجنازة التي قال عنها ﷺ: **«من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان»** قيل: وما القيراطان؟ قال: **«مثل الجبلين العظيمين»**.

قال ابن شهاب: قال سالم بن عبد الله بن عمر: وكان ابن عمر يصلي عليها ثم ينصرف فلما بلغه حديث أبي هريرة قال: لقد ضيعنا قراريط كثيرة(٢).

---

(١) أخرجه البخاري(ص: ٤٧٠ رقم ٢٨٤٠) كتاب الجهاد، باب فضل الصوم في سبيل الله، ومسلم(ص: ٤٧٠ رقم ١١٥٣)، كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله.

(٢) أخرجه البخاري(ص: ٢١٢ رقم ١٣٢٣) كتاب الجنائز، باب فضل أتباع الجنائز، ومسلم(ص: ٣٨٠ رقم ٩٤٥)، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة، وأتباعها.

وقل مثل هذا الفضل في إطعام المساكين، وقد جمعه أبو بكر ﷺ في يوم واحد مع الصيام وأتباع الجنازة، وليس إطعام الطعام بالأمر السهل في الإسلام، فهو من أفضل الأعمال الصالحة.

وفي المتفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رجلا سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف**»(١).

وأما العمل الصالح الرابع الذي جمعه أبو بكر ﷺ، مع الثلاثة الأولى، هو: عيادة المريض، وهذه أيضا عبادة جليلة، فيها أداء حق، وواجب تجاه مسلم، وفيها من الخير العظيم.

ففي البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني**»(٢).

وفي مسلم من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع**» قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**»(٣).

وفيها أيضا من فضل زيارة أخ له في الله ما رواه الترمذي، وغيره من

---

(١) أخرجه البخاري(ص: ٥ رقم ١٢) كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام ومسلم(ص: ٣٩ رقم ٣٩)، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام.

(٢) أخرجه البخاري(ص: ١٠٠٠ رقم ٥٦٤٩) كتاب المرض، باب وجوب عيادة المريض.

(٣) أخرجه مسلم (ص: رقم ٢٥٦٨)، كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض.

حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا»**[١].

وفي مسند أحمد: خرج رجل يزور أخا له في الله عز وجل في قرية أخرى فارصد الله عز وجل بمدرجته ملكا، فلما مر به قال: أين تريد؟ قال: أريد فلانا، قال: لقرابة؟ قال لا قال: فلنعمة له عندك تربها؟ قال: لا قال فلم تأتيه؟ قال: أنى أحبه في الله قال فإني رسول الله إليك إنه يحبك بحبك إياه فيه[٢].

فهذه الخصال الأربعة التي جمعها أبو بكر ط في يوم واحد، لا شك أنها من أعظم الخصال، وأجلها، وقد سبق الاستدلال لها، وهناك، أعمال أخرى لم يسأل عنها رسول الله ﷺ، فلم يذكرها أبو بكر ط أنه صلى العشاء، والصبح في جماعة، وقد قال النبي ﷺ: **«لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»**[٣]. ألا يكون أبو بكر في ذلك أنه سلم على مسلم، وصافحه، ونصح له؟، بل الجمع بها ممكن، فإن زيارته للمريض قد صاحبتها مصافحته، والسلام عليه، وفي إطعامه

---

(١) أخرجه الترمذي(ص: ٤٦٣ رقم ٢٠٠٨) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في زيارة الإخوان.

(٢) مسند الإمام أحمد(٢: ٢٩٢ رقم ٧٩٠٦).

(٣) أخرجه البخاري(ص: ١٠٢ رقم ٦١٥)، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، ومسلم (ص: ١٨٥ رقم ٤٣٧)، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام.

المسكين قد صاحبتها مصافحته، والسلام عليه، بل والنصح له، بإطعامه الطعام.

وكل هذه الخصال وغيرها من العمل الصالح الذي يمكن للمسلم أن يعمله ويجتهد فيه.

وإذا أراد المسلم أن يقتدي بمن أمر الله بالاقتداء بهم، وهم الأنبياء، والرسل، وأتباع الرسل، وعلى رأس أتباع الرسل، الصحابة رضوان الله عليهم، فليتبع أوامر الله ورسوله، وليختر من الأعمال ما يطيق، ويكون لتلك الأعمال من الأجور العظيمة، ما سبق لأبي بكر ﷺ، ومن خلال هذا النص الذي تم شرحه عن أبي بكر ﷺ، وفي ضوء هذه الوقفة، ضمن حديث الباب، يمكن أن نبرز للقاري ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: الأعمال الصالحة التي يمكن للإنسان أن يجتهد بها، في يومه وليلته، وفي دهره كله.

المسألة الثانية: كيف يمكن للمسلم أن يحافظ على تلك الأعمال، ويبقى مجتهدا، لا يكل ولا يمل؟.

المسألة الثالثة: ثمرة العمل الصالح.

أما المسألة الأولى: ما هي الأعمال الصالحة التي يمكن للإنسان أن يجتهد بها، في يومه وليلته، وفي دهره كله.

الأعمال الصالحة، التي يمكن للإنسان أن يجتهد بها، في يومه وليلته، وفي

دهره كله، يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: الأعمال اللازمة، وهي التي لا يتعدى نفعها إلى غيره، بل يستفيد منها هو دون غيره، وهي كثيرة، مثل: الصلوات الخمس، والصوم، والحج، وذكر الله تعالى، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، وغيرها من الشعائر.

القسم الثاني: الأعمال الصالحة المتعدية إلى الغير، وذلك مثل: تعليم القرآن، وتعليم العلم، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، وبناء المساجد، والإنفاق في سبيل الله، وسقي الماء، وإطعام الطعام، والسعي في قضاء حوائج المسلمين، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة التي يتعدى فعها.

ففي هذه الأعمال كلها أجر عظيم، وثواب جزيل، فلو أخذنا شعيرة واحدة، للتمثيل لتبين فيها من الأجور، والحسنات ما لا يعلمه إلا الله عز وجل.

فمن أمثلة القسم الأول: الصلاة.

فالتطهر لها.

وأداؤها في وقتها.

والمحافظة عليها.

والمشي إليها.

وصلاتها مع الجماعة.

وتعليق القلب بها.

وأداء تحية المسجد.

وإقامة ركوعها وسجودها.

وانتظارها.

كل واحدة من هذه لها أجرها المترتب على فعلها بمفردها، فيحصد المسلم من الحسنات من ذلك الشيء الكثير، وإليك التفصيل.

فالتطهر للصلاة فيه تنقية للعبد من الذنوب، وتطهير له، وكأن الله تعالى يهيئه لأن يدخل في الصلاة وهو نقي الظاهر والباطن.

ففي حديث عمرو بن عبسة السلمي الطويل عن النبي ﷺ: «**ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه**»، فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ فقال له أبو أمامة يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول في مقام واحد يعطى هذا الرجل ؟ فقال عمرو يا أبا أمامة لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا، حتى

عد سبع مرات ما حدثت به أبدا ولكني سمعته أكثر من ذلك[١].

وفي حديث أنس عن النبي ﷺ: «**إذا توضأ العبد المسلم، أو المؤمن، فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيا من الذنوب**»[٢].

وأداؤها في وقتها، فيه أجر عظيم، وثواب جزيل، ففي حديث ابن مسعود المتفق عليه أنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني.

وأما المحافظة عليها، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف[٣].

فالذي يحافظ على الصلاة، يصلي كل صلاة في وقتها، ثم لا يترك منها صلاة عمدا ولا تهاونا، فإنه موعود بأجر عظيم يوم القيامة، وتغسله هذه

---

(١) أخرجه مسلم (ص: ٣٣٤ رقم ٨٣٢)، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة.

(٢) المرجع السابق(ص: ١٢١ رقم ٢٤٤) كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع الماء الوضوء

(٣) أخرجه وأحمد(٢: ١٦٩ رقم ٦٥٧٦)، وابن حبان(٤: ٢٢٩ رقم ١٤٦٧)، وغيرهما. وهو حديث حسن.

الصلوات مما تعلق به من الذنوب.

فعن عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات»(١).

وأما المشي إليها، فإن فيه جبالا من الحسنات، يكتسبها العبد المسلم في مشيه إلى الصلاة، وكل ما كان أبعد كلما كان أكثر أجرا.

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصليها ثم ينام وفي رواية أبي كريب حتى يصليها مع الإمام في جماعة»(٢).

وفي حديث أبي عثمان النهدي عن أبي بن كعب ﷺ قال: كان رجل لا أعلم رجلا أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة، قال: فقيل له أو قلت له: لو اشتريت حمارا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء، قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد. إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقال رسول الله ﷺ: **«قد جمع الله لك ذلك كله»**(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (ص: ٢٧٠ رقم ٦٦٨) ، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحو الخطايا وترفع الدرجات..

(٢) أخرجه مسلم(ص: ٢٦٨ رقم ٦٦٢)، كتاب المساجد، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد.

(٣) المرجع السابق(رقم ٦٦٣).

وفي حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: كانت ديارنا نائية عن المسجد فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقترب من المسجد فنهانا رسول الله ﷺ فقال: «إن لكم بكل خطوة درجة»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة»(٢).

وصلاة المسلم مع الجماعة، أكثر أجرا من صلاته في بيته أو سوقه،فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة»(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»(٤).

---

(١) المرجع السابق(رقم ٦٦٤).

(٢) المرجع السابق(رقم ٦٦٦).

(٣) أخرجه البخاري(ص: ١٠٦ رقم ٦٤٧) كتاب الإيمان، باب فضل صلاة الجماعة، ومسلم (ص: ٢٦٢ رقم ٦٥٠)، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة.

(٤) رواه مسلم(ص: ٢٦٤ رقم ٦٥٦) كتاب المساجد، باب فضل صلاة العشاء.

والرجل الذي يعلق قلبه بالمساجد، من السبعة التي يظلهم الله عز وجل تحت ظله، يوم لا ظل إلا ظله.

فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...**» وذكر منهم: «**رجلا قلبه معلق في المساجد...**»[1].

وهذا المعلق قلبه بالمسجد، علقه لأجل الصلاة، لا لغيرها من الأغراض الدنيوية، فإن له من الأجر الذي لا ينقطع مدة تعلق قلبه، وذلك لما ثبت عن النبي ﷺ، أنه كان في غزاة فقال: إن أقواما بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبا، ولا واديا إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر، فهؤلاء حصل لهم الأجر، بارتباط القلب بهم وتعلقه، فنرجو من الله أن يهب معلق القلب بالمساجد ذلك الأجر.

وأداء تحية المسجد عند دخوله، فيه من الأجر ما يشوق المسلم إلى أن يعلق قلبه بالمسجد، من أجل أن يدخل فيصلي فيه تلك الصلاة المعروفة بتحية المسجد ليحصل له ذلك الأجر العظيم، المترتب على تحية المسجد، فعن معاذ ابن عبد الرحمن أن ابن أبان أخبره قال: أتيت عثمان بطهور وهو جالس على المقاعد، فتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: رأيت النبي ﷺ توضأ وهو في هذا المجلس فأحسن الوضوء ثم قال: «**من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه**». قال، وقال النبي ﷺ: «**لا**

---

(١) أخرجه البخاري(ص: ١٠٦ رقم ٦٦٠) كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ومسلم(ص: ٤١٥ رقم ١٠٣١) كتاب الزكاة،باب فضل إخفاء الصدقة..

تغتروا».

وأما تمام الركوع والسجود، في الصلاة، والطمأنينة فيها، فهو شرط من شروطها، التي لا تتم إلا بها، ومع ذلك ففيه أجر عظيم.

عن حمران مولى عثمان ﷺ قال: كان عثمان يغتسل كل يوم مرة من منذ أسلم، فوضعت وضوءا له ذات يوم للصلاة، فلما توضأت قال إني أردت أن أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، ثم قال: بدا لي أن لا أحدثكموه فقال الحكم بن أبي العاص: يا أمير المؤمنين: إن كان خيرا فنأخذ به أو شرا فنتقيه، قال: فقال فإني محدثكم به: توضأ رسول الله ﷺ هذا الوضوء، ثم قال: **«من توضأ هذا الوضوء فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة، فأتم ركوعها وسجودها كفرت عنه ما بينها وبين الصلاة الأخرى ما لم يصب مقتله يعني كبيرة»**(١).

وعن أيمن مولى بن عمر عن تبيع عن كعب ﷺ أنه قال: **«من توضأ فأحسن وضوءه ثم شهد صلاة العتمة في جماعة ثم صلى إليها أربعا مثلها يقرأ فيها ويتم ركوعها وسجودها كان له من الأجر مثل ليلة القدر»**(٢).

وأما انتظار الصلاة، بعد الصلاة، فهو الرباط، يعني: فيه من الأجر والثواب، ما للمرابط في ثغر من ثغور الإسلام.

---

(١) أخرجه أحمد(١: ٦٧ رقم ٤٨٤) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى(ص: ٦٨٠ رقم ٤٩٥٨) كتاب قطع السارق، باب اختلاف أبي بكر بن محمد، واعبد الله بن أبي بكر. وهو موقوف على أبي، لكن له حكم الرفع، لأنه لا مجال للرأي فيه.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطأ إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»(١).

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث وأحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه»(٢).

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه وتصلي، يعني عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث فيه»(٣).

فإذا تأمل المسلم القدر العظيم، والكم الهائل من الحسنات التي حصدها

---

(١) أخرجه مسلم(ص: ١٢٣ رقم ٢٥١) كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٢) أخرجه البخاري(١٠٧ رقم ٦٥٩)كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ومسلم (ص: ٢٦٧ رقم ٦٤٩)، كتاب المساجد، باب فضل الصلاة المكتوبة، وفضل انتظار الصلاة.

(٣) أخرجه البخاري(ص: ١٠٦ رقم ٦٤٦) كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، ومسلم(ص: ٢٦٧ رقم ٦٤٩) كتاب المساجد، باب فضل صلاة المكتوبة، وانتظار الصلاة.

من هذه الشعيرة الواحدة وهذه الطاعة من الطاعات، ألا وهي الصلاة، علم ما منحه الله عز وجل لعباده من الخير والفضل، وسعة الرحمة، فهذه صلاة، فقط، فالتهيؤ لها أجر ومغفرة، وانحطاط الذنب، والمشي إليها كل خطوة ترفع درجة، وأخرى تحط خطيئة، وتحية المسجد غفران للذنوب، وفي تمام ركوعها جزيل الثواب، وانتظارها أجر ومغفرة واستغفار الملائكة، ثم هو في حكم المصلي ما دام كذلك، وإذا كان هذا كله للصلاة، فما هو أجر الصلاة؟ فأجرها عظيم، وثوابها جزيل.

ففي حديث الإسراء، الطويل، وفيه، قال النبي ﷺ: «ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي...»[1]. فالمسلم يؤدي هذه الصلاة خمس مرات في اليوم، وهي في الأجر والثواب خمسين، هكذا قال أهل العلم في هذا الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري(ص: ٦٢ رقم ٣٤٩)، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ومسلم (ص: ٨٢ رقم ١٦٢)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ق، وفرض الصلاة..

وعن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت بأحب الأعمال إلى الله، فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**»، قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي مثل ما قال لي ثوبان[1].

ويلحق بما سبق: نوافل العبادات، مثل: الصلاة، والصيام، والنفقات، والحج، وغير ذلك من النوافل الزائدة عن الفرض.

وإذا تأمل المسلم باقي الطاعات، مما ذكر من الواجبات، يجد في كل واحدة من الأجر والثواب، ما للصلاة أو قريبا من ذلك، فالصوم، سبق بيان فضله في الخصال التي جمعها أبو بكر في يوم واحد، والزكاة، أجرها عظيم، وكذلك الصوم، وغير ذلك، فإذا استشعر المسلم مثل هذه الأجور العظيمة في مثل هذا العمل القليل، فإنه يجتهد في العمل الصالح ويضيف إلى صحيفته يوم القيامة.

ومن الأمثلة على الأعمال الصالحة التي تقدم ذكرها في القسم الأول الذي لا يتعدى نفعها إلى غيرها:

ذكر الله تعالى فإن فيه من الأجر ما لو اجتهد فيه المسلم، لغرف جبالا

---

(١) أخرجه مسلم (ص: ٢٠٢ رقم ٤٨٨)، كتاب الصلاة، باب فضل السجود، والحث عليه.

من الحسنات.

فإن من ذكر الله تعالى قراءة القرآن: قال النبي ﷺ: **«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (ألم) حرف ولكن (ألف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف»**(١).

ويقول ﷺ عن ذكر الله تعالى: «سبق المفردون» قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: **«الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»**(٢).

ومن ذلك: ذكر الله بأسمائه الحسنى، يقول ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما مئة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة»(٣).

ومن ذكر الله تعالى بأسمائه: ما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى: لا إله إلا الله، قال موسى: يا رب: كل عبادك يقول هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت، إنما أريد شيئا تخصني به، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله»**(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي: (٥: ٣٣ رقم ٢٩١٠): وابن الضريس في فضائل القرآن(ص: ٤٦).

(٢) أخرجه مسلم(ص: ١١٦٦ رقم ٢٦٧٦) كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٣) أخرجه البخاري(ص: ١٢٧٢ رقم ٧٣٩٢) كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحد، ومسلم(ص: ١١٦٦ رقم٢٦٧٧)، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى(٩: ٣٠٧ رقم ١٠٦٠٢)، والحاكم(١: ٧١٠ رقم ١٩٣٦) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

ومن الأعمال الصالحة التي تثقل ميزان المسلم:

التحلي بالأخلاق الفاضلة، وهذا النوع من الأعمال الصالحة، وإن كان قاصرا على صاحبه، إلا أنه يضفي على غيره فوائد جليلة، والخلق الحسن من أفضل ما تحلى به العبد، وقد كان ﷺ على درجة كبيرة من هذا، حتى وصفه الله بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وقد وردت أحاديث كثيرة من النبي ﷺ في الترغيب بالخلق الحسن، وعد ذلك من أفضل ما يجلب به العبد درجات، وأثقل ما يضعه المسلم في ميزانه يوم القيامة.

فعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل من ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء»(١).

وقال ﷺ: **«إن خياركم أحاسنكم أخلاقا»**(٢).

ومن أمثلة القسم الثاني، ما يلي:

أولا: تعليم العلم:

وهو التفقه في الدين، وفهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والتزود بالعلم، والغوص في مسائله، وتعلمه بالطرق التي أرشدنا إليها النبي ﷺ، وانتهجها أصحابه من بعده، وتبليغه الناس، وتعليمهم فيما يحتاجون إليه من

---

(١) أخرجه أبو داود(ص: ٦٧٨ رقم ٤٧٩٩)، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، والترمذي(ص: ٤٦٢ رقم ٢٠٠٢)، وهو حديث صحيح، وللفظ للترمذي.

(٢) أخرجه البخاري (ص: ١٠٥٤ رقم ٦٠٣٥)، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق، ومسلم (ص: ١٠٢٤ رقم ٢٣٢١)، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، والحديث مختصر.

أمور دينهم، بل ودنياهم. ليس هناك خلاف بين العلماء في أن العلم أشرف موروث، وأعلا وأسمى ما صرف فيه العبد وقته.

فإذا تعلم، فينبغي له أن يعلم الناس ويفقههم، ويبصرهم بأمور دينهم، فالعلم ميراث الأنبياء. قال عليه الصلاة والسلام: «**إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وأورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع**»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣١٧ ، رقم ٣٦٤١) ، والترمذي (٥/ ٤٨ ، رقم ٢٦٨٢) وأحمد (٥/ ١٩٦ ، رقم ٢١٧٦٣)، وابن حيان(١: ٢٨٩رقم) وعلقه البخاري(١: ٣٧) كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل. وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٥: ٢٩ ، رقم ٢٦٤٧) وقال : حسن غريب . والضياء المقدسي في المختارة،(٦: ١٢٤ ، رقم ٢١١٩) وقال : إسناده حسن .

(٣) أخرجه الترمذي (٥: ٣٤ ، رقم ٢٦٥٧) وأحمد (١: ٤٣٦ ، رقم ٤١٥٧) ، وحبان (١: ٢٦٨ ، رقم ٦٦) قال الترمذي : حسن صحيح. وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم (٨: ٧١ رقم ٧٠٢٨).

ثانيًا: تعليم القرآن الكريم:

يقول ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١]، وفي رواية أخرى: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»[٢] فجعل ﷺ الخيرية، والأفضلية على الإطلاق في المتعلم، والمعلم، كلاهما على حد سواء.

قال البخاري بعد أن أخرج الحديث السابق: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا[٣].

وكان الإمام أبو عبد الرحمن السلمي التابعي الجليل يقول لما يروى هذا الحديث عن عثمان هذا الذي أقعدني مقعدي هذا، كما في البخاري[٤]، يشير إلى كونه جالساً في المجلس الجامع بالكوفة يعلم القرآن ويقرئه مع جلالة قدره وكثرة علمه، وحاجة الناس إلى علمه ، وبقي يقرئ الناس بجامع الكوفة أكثر من أربعين سنة وعليه قرأ الحسن والحسين رضي الله عنهما[٥]، ولذلك كان السلف رحمهم الله لا يعدلون بإقراء القرآن شيئاً[٦].

وأما أقوال السلف الصالح في هذا الباب فهي كثيرة، يمكن أن يراجع في ذلك: كتابنا (لا حسد إلا في اثنتين)، فثم التفصيل.

---

(١) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه أخرجه البخاري (٤: ١٩١٩ ، رقم ٤٧٣٩) كتاب الفضائل، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وأبو داود (٢: ٧٠ ، رقم ١٤٥٢) ، والترمذي (٥: ١٧٣ ، رقم ٢٩٠٧) وابن ماجه (١: ٧٦ ، رقم ٢١١) وأحمد (١: ٦٩ ، رقم ٥٠٠)، وغيرهم .

(٢) صحيح البخاري (٤ : ١٩١٩رقم ٤٧٤٠)، كتاب الفضائل، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

(٣) يعني أن أبا سلمة بن عبد الرحمن جلس للناس يقرؤهم متفرغا لذلك مستشعرا هذا الحديث.

(٤) صحيح البخاري (ص: ٩٠١ رقم ٥٠٢٧)، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء (١ : ١٨٣)

(٦) ويمكن الاستزادة والتفصيل في هذا الموضوع من كتابنا(لا حسد إلا في اثنتين).

ثالثًا: الدعوة إلى الله تعالى:

قد قال جل وعلا في كتابه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف١٠٨].

وقد كان النبي ﷺ يحث أصحابه على الدعوة إلى الله تعالى، ويلهب حماستهم لذلك، ويبين ما لهم من الأجور ورفعة الدرجات عند الله إن هم قاموا بذلك.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ: **«لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»**(١).

وروى مسلم من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»** (٢).

وتكمن أهمية الدعوة إلى الله تعالى أنها وظيفة الرسل كما سبق، وذلك أن الناس لا بد لهم من الدعوة إلى الله تعالى ؛ لإخراجهم من الظلمات إلى النور .

من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الإسلام .

ومن ظلمات البدع إلى نور السنة .

---

(١) رواه البخاري (ص : ٤٨٧ رقم ٢٩٤٢)، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ق إلى الإسلام والنبوة، ومسلم (ص / ١٠٥٩ رقم٢٤٠٤)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي س في قصة بعث علي بن أبي طالب إلى خيبر .

(٢) رواه مسلم (ص: ٨٤٧ رقم ١٨٩٣)، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي.

ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة والهداية .

ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، كل بحسبه[١].

رابعًا: إطعام الطعام، وسقي الماء:

إطعام الطعام، كان من الخصال التي جمعها أبو بكر مع خصال أخرى في يوم واحد، واستحق بها الجنة بفضل الله تعالى، وسقي الماء من جنس الطعام، ومع ذلك فقد ثبتت في فضله أدلة أخرى.

فعن عبد الله بن عمرو، بأن رجلا سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ، ومن لم تعرف**»[٢].

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ: «**أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة**»[٣].

وفي حديث أبي سعيد ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله، عن الهجرة فقال: «**ويحك إن الهجرة شأنها شديد، فهل لك من إبل؟**» قال نعم. قال: «**فتعطي صدقتها؟**» قال نعم، قال: «**فهل تمنح منها شيئا؟**» قال نعم، قال: «**فتحلبها يوم وردها**»؟ قال نعم، قال: «**فاعمل من وراء البحار فإن الله**

---

(١) لمزيد من التفصيل في هذه المسألة يمكن مراجعة ما كتب حولها في كتابنا (لا حسد إلا في اثنتين).

(٢) أخرجه البخاري(ص: ٥ رقم ١٢) كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام.

(٣) صحيح البخاري(ص: ٤٢٥ رقم ٢٦٣١) كتاب الهبة، باب فضل المنيحة.

لن يترك من عملك شيئا»[١].

وأخرج أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، من حديث سعد ابن عبادة ﷺ، قال قلت: يا رسول الله إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم» قلت: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء»[٢].

وفي البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له»، قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا قال: «في كل كبد رطبة أجر»[٣].

خامسًا: بناء المساجد :

فعن عثمان بن عفان ﷺ عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ إنكم أكثرتم، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «من بنى مسجدا، يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة»[٤].

سادسًا: السعي في قضاء حوائج المسلمين :

فإن من أهم وسائل التأثير في قلوب الناس الإحسان إليهم، ومن

---

(١) أخرجه البخاري في الموضع السابق(رقم ٢٦٣٣).

(٢) سنن أبي داود(ص: ٢٤٩ رقم ١٦٧٩):تاب الزكاة، باب فضل سقي الماء وسنن النسائي(٥١٧ رقم ٣٦٩٤) كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة على الميت، وسنن ابن ماجه(ص: ٥٢٨ رقم ٣٦٨٤)، كتاب الأدب، باب فضل صدقة الماء، وهو حديث حسن.

(٣) صحيح البخاري(ص: ٣٨٠ رقم ٢٣٦٣) كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء.

(٤) أخرجه البخاري (ص: ٧٨ رقم ٤٥٠) كتاب الصلاة، باب من بنى مسجدا، ومسلم (ص: ٢١٦ رقم ٥٣٣) كتاب المساجد، باب فضل بناء المساجد.

الإحسان: قضاء حوائجهم، والشفاعة لهم عند ولاة الأمر وغيرهم من ذوي الحقوق، وقد ورد في فضل الشفاعة نصوص كثيرة، منها:

قول الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء٨٥].

ومن السنة ما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا**»(١).

وقد كان الرسول ﷺ يشفع، ويحث على الشفاعة، فعن ابن عباس ﷺ قال: (كان زوج بريرة عبدا يقال له: مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ للعباس: «**ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا**»؟ فقال النبي ﷺ: «**لو راجعتيه فإنه أبو ولدك**»، قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: «**لا إنما أشفع**»، قالت: فلا حاجة لي فيه»(٢).

وقال ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما**

---

(١) أخرجه البخاري(٣: ٢٩٩)، ومسلم ١٦: ١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري(٩: ٨٠٤).

اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[١].

وأمور أخرى كثيرة جدا من الأعمال المتعدي نفعها بالإضافة إلى ما سبق، يمكن للمسلم أن يجتهد فيها، ويحصد من ورائها أجورا عظيمة، وبعضها يبقى مدرا عليه الحسنات إلى يوم القيامة. والله تعالى أعلم[٢].

المسألة الثانية: كيف يمكن للمسلم أن يحافظ على تلك الأعمال ويبقى مجتهدا، لا يكل ولا يمل؟

من الأمور التي تعين المسلم على العمل الصالح، دون ملل أو كلل، ما يلي:

أولًا: أن يخلص عمله لله عز وجل، ذلك أن المسلم إذا كان مخلصا لله فيما يقدمه، فإنه يحس بلذة العبادة، وحلاوة الإيمان، وكل عمل صالح يقوم به المسلم، فإن مفتاح القبول والتيسير فيه، هو إخلاص القصد لله عز وجل، وكل عمل يفتقر إلى الإخلاص لا يؤتي ثمرته وإن آتى بعض ثماره فإن عاقبته في غالب الأحوال تكون فجة وثماره تكون مرة أضف إلى أنه يحرم من أعظم ما يتأمله المرء وهو القبول عند الله عز وجل وحصول الأجر والثواب.

---

(١) أخرجه مسلم(ص: ١١٧٧ رقم ٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على ذكر الله تعالى.

(٢) يمكن أن يراجع كتابنا: (خير الناس أنفعهم للناس).

فلذلك ينبغي للمسلم أن يخلص نيته في كل عمل لكي يسهل عليه ويعان.

وهناك بعض الأمور تعين على ذلك، منها:

إفراد الله تعالى بالقصد، وهو أن يريد المسلم بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر، من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق أو معنى آخر سوى التقرب إلى الله تعالى(١).

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

قال القرطبي: مخلصين له الدين، أي مخلصين له العبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ١١]. قال: وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات، فإن الإخلاص من عمل القلب، وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره(٢).

ثانيا: اليقين بوعد الله تعالى، فإنه سبحانه، قد وعد ولن يخلف وعده، أن من عمل صالحا من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن، فإنه لن يضيع من عمله شيئا.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ [النساء:١٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾ [طه:١١٢].

---

(١) هذا تعريف الإخلاص عند بعضهم.

(٢) الجامع لأحكام القرآن(٢٠: ١٤٤)

وقال عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء:٩٤].

وقال الله عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧- ٨]، فإذا تيقن المرء بموعود الله، وأنه لن يتخلف، فإنه غالبا ينشط، ويشحذ نفسه، ويجتهد في العمل.

ثالثًا: العمل وفق حديث الباب، وذلك بأن يعبد الله كما أمره، وكما أمر رسوله، فلا يغل، ولا يتنطع، ولا يتشدد، ولا يقصر، ولا يتهاون، ولا يفرط.

رابعًا: استشعار الأجر والثواب، فيعينه ذلك على إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، فمتى ما كان مستحضرا للأجر أعانه ذلك على تجريد النية، وتجديد الإخلاص وكان دافعا عظيما للإقدام على العمل والاستمرار فيه، ولذا من الخير للمسلم استشعار الثواب.

خامسًا: دعاء العبد ربه بالثبات والاستمرار، وهكذا النبي ﷺ كثيرًا ما يدعو: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[1]. والله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه هذا الدعاء بصيغة أخرى، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

سادسًا: العلم النافع، فكل ما زاد علم العبد زادت معرفته بربه عز وجل

---

(١) أخرجه الترمذي (ص: ٤٩٢ رقم ٢١٤٠). وهو صحيح.

فأعانه ذلك على الثبات والمواصلة للأعمال الصالحة، ولذلك كان العلماء أكثر خشية لله عز وجل من غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨] وعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد.

سابعًا: القراءة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح وأهل الهمم العالية والمقامات الرفيعة لمحاولة الاقتداء بهم والتشبه بفعالهم، فيكون ذلك خادما له بأن يواصل أعماله الصالحة.

المسألة الثالثة: ثمرة العمل الصالح

هناك آثار عدة يستفيدها المرء المسلم من العمل الصالح، وتعود عليه بما ينفعه في دنياه وأخراه، وهي كثيرة، ومنها:

أولا: زيادة إيمانه، وتقواه:

قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم:٧٦].

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧].

﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر:٣١].

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤].

ثانيًا: محبة الله له، ومحبة جبريل، والملائكة، والناس أجمعين:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال من عادى لي**

وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»(١).

ثالثًا: تفريج الكروب عنه، ودفع المصائب(٢).

قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات:١٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف:٨٢].

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٥].

وعن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد العمر إلا البر»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري(ص:١١٢٧ رقم ٥٦٠٢)، كتاب الرقائق، باب التواضع.

(٢) يرجع إلى كتابنا (أثر العمل الصالح في تفريج الكروب).

(٣) أخرجه الترمذي(ص: ٤٩١ رقم ٢١٣٩)، كتاب القدر، باب ما جاء، لا يرد القدر إلا الدعاء، وابن ماجه(ص: ١٥ رقم ٩٠) المقدمة. ، وأحمد(٥: ٢٧٧ رقم ٢٢٤٤٠). وهو حديث حسن.

وفي حديث أمامة، عن النبي ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»(١).

رابعًا: الخاتمة الحسنة:

فإن المداومة على العمل الصالح سبب لحسن الخاتمة؛ لأن المؤمن متى ما اشتدت عزيمته على فعل الخيرات، والانكفاف عن السيئات، وفقه الله لحسن الخاتمة، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧].

خامسًا: التوفيق والتسديد في الدنيا والآخرة:

إن العبد المسلم متى عمل صالحا، والتزم تقوى الله تعالى يسر أمره، وأعانه الله تعالى على أمور دينه ودنياه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤].

فأخبر أنه ييسر على المتقي مالا ييسر على غيره، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق٢- ٣]. وهذا أيضا ييسر عليه بتقواه. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩]. وهذا يتيسر

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٧: ٣٠٠)، وهو حديث حسن لغيره. ويراجع في هذه المسألة كتابنا (حديث الثلاثة الذين آواهم الغار) ففيه تفصيل كثير.

بالفرقان المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل وتكفير السيئات ومغفرة الذنوب، وذلك غاية التيسير.

وقد عد بعض أهل العلم هذا الأمر من الحِكَم التي شرعت من أجلها الأذكار، سواءً الأذكارُ المطلقة، أو المقيَّدةُ بالأحوال[1].

سادسًا: التوفيق والتسديد لحياة طيبة:

إن المداوم على العمل الصالح يكون قلبه دائم م الاتصال بالله تعالى، مما يعطي القلب قوةً ونوراً وثباتاً على دين الله.

ومن كان هذا حاله فإن الله تعالى سيحييه حياة طيبة، ويوفقه للاستقرار والأمان، ورغد العيش. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق٢- ٣]. وهذا مفهوم المخالفة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

سابعًا: الرفعة في الدنيا والفوز في الآخرة:

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

---

(١) بتصرف من كتاب التبيان في أقسام القرآن لابن القيم(ص: ٣٦).

الوقفة الخامسة
التسديد والمقاربة في العبادة

سبق في المقدمة، القول بأن التَسْديدُ هو: التوفيقُ للسداد، وهو الصوابُ والقصدُ من القول والعمل.

وقيل: السد إغلاق الخلل وردم الثلم. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠].

قال ابن رجب: المقاربة: أن يقارب الغرض وإن لم يصبه؛ لكن يكون مجتهدا على الإصابة فيصيب تارة ويقارب تارة أخرى، أو تكون المقاربة لمن عجز عن الإصابة كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، منه الحديث: «**إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(١).

الحث على المقاربة والسداد في الأعمال:

إن العبد لا يمكنه أن يدوم على هيئة واحدة، وصفة مستمرة، ومزاج

---

(١) أخرجه البخاري(ص: ١٢٥٤ رقم ٧٢٨٨) كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن المرسلين، ومسلم (ص: ٥٦٤ رقم ١٣٣٧) كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.

صاف، ولكنه ساعة وساعة، فمرة يكون نشيطا، ومرة يصيبه الفتور، ومرة يكون صحيحا، ومرة يصيبه المرض، ومرة يكون فارغا، ومرة ينشغل، ومرة تنشرح نفسه، ومرة تنقبض، ومرة يفتح له ومرة يغلق عليه، ومرة يقوى إيمانه ومرة يضعف.

فينبغي للمسلم أن يعبد الله، ويعمل الصالحات، ويجتهد في كسب الحسنات، من خلال ذلك، فإذا تصور المسلم حديث الباب، في التسديد، والمقاربة، والقصد، والسير في الدلجة، علم أن لكل حالة من حالاته التي سبق بيانها، ما يناسبه من العبادة، والعمل الصالح.

وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى استغلال تلك الفترات، وتلك الحالات، ليسدد في واحدة، ويقارب في مقابلها، فقال ﷺ كما في حديث ابن عباس: **«اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك و غناك قبل فقرك و فراغك قبل شغلك و حياتك قبل موتك»**[1].

ففي هذا الحديث يحث النبي ﷺ أمته على استغلال المناسبات والأحوال التي تمر به، من أجل العبادة، والعمل الصالح، فيسدد، لما يكون شابا يافعا يستطيع أن يعبد الله بأنواع من العبادات المختلفة، فإذا هرم، فإنه يقارب، في تلك العبادات، ويعبد الله تعالى، ويعمل بقدر ما أعطاه الله تعالى،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك(٤: ٣٤١ رقم ٧٨٤٦). وأخرجه النسائي في السنن الكبرى(١٠: ٤٠٠ رقم ١١٨٣٢) من حديث عمرو بن ميمون. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ولن يخيب ظنه، بل تكفي مقاربته بأن يجزيه الله خير الجزاء، بل قد يكتب له العمل كاملا كما كان يعمله شابا، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي بردة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد، أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا**»(١).

وفي معنى المقدمة السابقة، تأتي قصة حنظلة، ففي صحيح مسلم من حديث أبى عثمان النهدى عن حنظلة الأسيدى قال - وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال: لقينى أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فو الله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك**»؟. قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ص: ٤٩٥ رقم ٢٩٩٦). كتاب الجهاد والسير-، باب يكتب للمسافر ما كان يعمل في الإقامة.

ثلاث مرات[١].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين/ في شرح هذا الحديث: (يعني ساعة للرب عز وجل، وساعة مع الأهل والأولاد، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم، وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها أن الله عز وجل له حق فيعطى حقه عز وجل، وكذلك للنفس حق فتعطى حقها وللأهل حق فيعطون حقوقهم وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة ويتعبد لله عز وجل براحة؛ لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها مل وتعب وأضاع حقوقا كثيرة، وهذا كما يكون في العبادة وفي حقوق النفس والأهل والضيف يكون كذلك أيضا في العلوم، فإذا طلب الإنسان العلم ورأى في نفسه مللا في مراجعة كتاب ما فلينتقل إلى كتاب آخر، وإذا رأى من نفسه مللا من دراسة فن معين فإنه ينتقل إلى دراسة فن آخر، وهكذا يريح نفسه ويحصل علما كثيرا، أما إذا أكره نفسه على الشيء حصل له من الملل والتعب ما يجعله يسأم وينصرف إلا ما شاء الله)[٢].

كلام السلف حول المقاربة والسداد في الأعمال الصالحة:

قال ابن حبان في كتابه الصحيح: باب ذكر الأخبار عما يجب على المرء

---

(١) أخرجه مسلم (ص: ١١٩١ رقم ٢٧٥٠)، كتاب التوبة، باب فضل الدوام على الذكر.

(٢) شرح رياض الصالحين(٢: ٢٣٥) مع بعض التصرف.

من التسديد والمقاربة في الأعمال دون الإمعان في الطاعات حتى يشار إليه بالأصابع.

وأورد حديث أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «**لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة فإن كان صاحبها سادا مقاربا، فارجوه ، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه**»(١).

وقال ابن رجب: المقاربة أن يقارب الغرض وإن لم يصبه؛ لكن يكون مجتهدا على الإصابة فيصيب تارة ويقارب تارة أخرى، أو تكون المقاربة لمن عجز عن الإصابة كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

قال: وفي المسند، وسنن أبي داود، من حديث الحكم بن حزن الكُلَفي: (أيُّها النَّاس، إنَّكم لن تعملوا - أو لن تُطيقوا - كلَّ ما أمرتُكم، ولكن سدِّدوا وأبشروا)(٢).انتهى(٣).

قال الغزالي، وهو يتناول الترويح عن النفس: فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة؛ لأن عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الأيام والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات، ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات، فالعطلة معونة على

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيح(٢: ٦٢ رقم ٣٤٩) . وهو صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه أبو داود(ص: ١٦٥ رقم ١٠٩٦) ، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس.وأحمد (٤: ٢١٢ رقم ١٧٨٨٩)، وهو حديث حسن.

(٣) فتح الباري(١: ١٣٨).

العمل واللهو معين على الجد، ولا يصبر على الجد المحض والحق المر إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام. انتهى[1].

وبناء على ما سبق من النصوص، حول التسديد والمقاربة، وما ذكره أهل العلم حولها، في ضوء تلك النصوص، فيمكن أن تقسم الأعمال الصالحة والطاعات التي يقوم بها المسلم إلى قسمين:

القسم الأول: الأعمال الصالحة، المسددة.

القسم الثاني: الأعمال الصالحة التي قارب فيها المسلم السداد.

وقبل أن نذكر كيفية العبادة في كل قسم مما سبق، فينبغي الإشارة إلى أن كل الأعمال الصالحات التي يقوم بها المسلم، هي مسددة في كلا القسمين، وذلك في حالتين:

الحالة الأولى: كونها مستوفية الشروط، وهي الإخلاص والمتابعة.

الحالة الثانية: كونها عند الله كاملة إذا قبلت؛ لأنه سبق أن الله يكتب للمسلم في مرضه، وسفره ما كان يعمله صحيحا مقيما، ولكن التسديد والمقاربة من حيث قيام المسلم بتلك العبادة، قوة وضعفا، نشاطا وكسلا، وقلة وكثرة.

القسم الأول: الأعمال الصالحة، المسددة:

هذا القسم من الأعمال يقوم به المسلم على وجه الكمال والتمام، هذا فيما

---

(١) إحياء علوم الدين(٣: ٢٧٠).

قام به هو، فمثلًا:

الصلاة، فإن من الناس من يصلي صلاة كاملة بأركانها وواجباتها وسننها، وخشوعها والخضوع فيها، ومنهم من يكون في كل ذلك أقل من الأول.

وفي هذا المعنى يقول ﷺ: «**إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها**»(١).

وفي هذا المعنى يرد قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيرها:

الأول: الظالم لنفسه، وهو الذي يطيع الله، ولكنه يعصيه أيضا فهو الذي قال الله فيه: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٢].

والثاني: المقتصد وهو الذي يطيع الله، ولا يعصيه، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات.

والثالث: السابق بالخيرات: وهو الذي يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة، وهذا

---

(١) أخرجه أبو داود(ص: ١٢٣ رقم ٧٩٥). كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة.

على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه، والمقتصد والسابق[١].

وفي جامع الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة[٢].

وقال تعالى: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾[الواقعة: ٨- ١٠].

فالسابق بالخيرات هو الذي يدخل في هذا القسم، ويكون عمله تاما مسددا[٣].

القسم الثاني: الأعمال الصالحة التي قارب فيها المسلم السداد:

وفي هذا القسم، يدخل عمل المسلم حال مرضه، وحال فتوره، ويدخل المجتهد الذي رام صوابا فأخطأ، ويدخل المخطئ الذي لم يتعمد الخطأ، ويدخل من قام بالفرائض وقصر في النوافل، وغير ذلك.

وفي هذا المعنى يأتي حديث ابن عباس الذي تقدم: «**اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك،**

---

(١) أضواء البيان(٥: ٤٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي(ص: ٧٣٣ رقم ٣٢٢٥)، كتاب التفسير، باب سورة الملائكة، وصححه بعض أهل العلم.

(٣) لمزيد من التفصيل، ينظر كتابنا (مثل ما بعثني الله به) (ص: ٦٣).

وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

فالمسلم، ينبغي أن يسدد في شبابه؛ لأنه سيقارب في هرمه، ويسدد في صحته؛ لأنه سيقارب في مرضه، ويسدد في فقره؛ لأنه سيقارب في مرضه، ويسدد في فراغه؛ لأنه سيقارب في شغله، ويسدد في حياته؛ لأنه سينقطع عنه العمل عند موته، أو معناه: اعمل في دنياك ما ينفعك يوم ينقطع عنك العمل، وهنا تأتي الصدقات الجارية، والأعمال التي يعملها الإنسان وتبقى بعد مماته، مثل حفر الآبار، وبناء المساجد، وتعليم العلم، ونحو ذلك.

الوقفة السادسة
اليسر في الدين

دل الحديث بمجموعه على الدين وفق تيسيره، فالسديد، والمقاربة، والمداومة على العمل، ولو كان قليلا، كل ذلك من التيسير، ولذلك:

نتناول هذه الوقفة في أربع مسائل:

المسألة الأولى: مفهوم اليسر في الدين، وضوابطه.

المسألة الثانية: أدلة التيسير.

المسألة الثالثة: اختصاص الشريعة باليسر.

المسألة الرابعة: أمثلة اليسر في الدين.

المسألة الأولى: مفهوم اليسر في الدين، وضوابطه

أولاً: مفهوم اليسر:

اليسر اليُسْرُ لغة: ضد العُسْرِ. ومنه «الدِّين يُسْرٌ» أي سهلٌ سَمْحٌ قليل التشديد(١).

أما في الاصطلاح: فهو تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، من غير تشدُّد يُحرِّم الحلال، ولا تميُّع يُحلِّل الحرام.

ويدخل تحت هذا المسمى السماحة والسعة ورفع الحرج وغيرها من المصطلحات التي تحمل المدلول نفسه(٢).

ثانيًا: ضابط اليسر:

إذا تقرر ما مفهوم اليسر، فإن هذا اليسر له ضوابط تنظمه وتضبطه، وتتلخص في العناصر التالية:

١- **أن يكون التيسير ثابتا بالكتاب أو السنة:** فلا يكون التيسير بحسب الهوى والتشهي واستحسان العباد واستقباحهم. فكل تيسير لا يستند إلى الكتاب أو السنة فهو تيسير ملغى؛ لأن الشرع لا يثبت بمجرد الاستحسان العقلي دون التقيد بالدليل.

---

(١) المعجم الوسيط، مادة: يسر ٢(٢: ١٠٧٨).

(٢) للتوسع في هذه القاعدة، يراجع كتابنا "اليسر والسماحة في الإسلام".

٢- **عدم مجاوزة النص في الأخذ بالتيسير:** فلا يجوز الاستزادة في التخفيف والتيسير على ما ورد به النص ، فلا يصح مثلا أن يقال أن مشقة الحرب بالنسبة للجنود تقتضي وضع الصلاة عنهم أو تأخيرها إلى القضاء فيما بعد. وإنه كلما كان التمسك بالنص الشرعي والتزام الحكم المستفاد منه، كان ما يفيده من التيسير ورفع الحرج أبلغ.

فإن الله سبحانه وتعالى رخص في الصلاة في الحرب بكيفية معروفة مشهورة في السنة النبوية، وتعرف بصلاة الخوف.

وهو ما رواه مالك ، وعنه البخاري، ومسلم عن صالح بن خوات عمن: صلى مع رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم)[1].

٣- **أن لا يعارض التيسير نصا من الكتاب أو السنة:** فلا اجتهاد مع النص، فالكتاب والسنة هما المصدر الأساس لهذا الدين، وبقية الأدلة والأصول الشرعية تبع لهما، فمتى حصل تعارض بينهما وجب المصير

---

(١) موطأ مالك (١: ١٨٣ رقم ٤٤٠)،كتاب الصلاة، باب صلاة الخوف، وصحيح البخاري(ص: ٦٩٩ رقم ٤١٢٩)، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع وصحيح مسلم(ص: ٣٣٩ رقم ٨٤٢)، كتاب الصلاة، باب صلاة الخوف.

إلى الأخذ بالنص.

٤- أن يكون التيسير مقيدا بمقاصد الشريعة: فالشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح الخلق ، واليسر يجب أن ينطلق من الشرع ويتقيد بقيوده ، فلا التفات إلى تيسير يحكم به العقل وحده ، بل لابد أن يكون راجعا إلى حفظ مقصود من مقاصد الشرع، فإن ناقضه فليس بتيسير.

المسألة الثانية: أدلة التيسير

إن التيسير والسماحة في الشريعة الإسلامية مبدأ ثابت بكتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ. ومقصد من مقاصد الشريعة، دلت عليه الأدلة الشرعية ومنها:

أولا: أدلة من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

وقال تعالى:﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[النساء:٢٨].

فهذه الآيات تفيد رفع الحرج على المكلفين، والتيسير عليهم، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون.

ثانيًا: أدلة من السنة :

الأدلة من السنة في التيسير، ورفع الحرج كثيرة جدا، ونقتصر على بعضها كأمثلة، دون الحصر.

١- قوله ﷺ: **«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»**[(١)].

٢- قوله ﷺ: **«يسروا ، ولا تعسروا وبشروا ، ولا تنفروا»**. متفق عليه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم: **«سكنوا»** بدل **«يسروا»**[(٢)].

٣- قال ﷺ: **«يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا»**. قاله لمعاذ وأبي موسى ب لما بعثهما إلى اليمن. متفق عليه، البخاري ومسلم، من طريق شعبة بن الحجاج شعبة ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن جده أن النبي ﷺ بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال: فذكره[(٣)].

٤- قوله ﷺ: **«إن خير دينكم أيسره»**[(٤)].

٥- قوله ﷺ: **«إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»**[(٥)].

---

(١) تقدم تخريجه في المقدمة.

(٢) سبق تخريجه في المقدمة.

(٣) سبق تخريجه في المقدمة.

(٤) أخرجه أحمد(٣: ٤٧٩ رقم ١٥٩٧٨)، وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه أحمد(٢: ١٠٨ رقم ٥٨٦٦). وهو حديث صحيح.

المسألة الثالثة: اختصاص الشريعة باليسر

مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية ظاهر، والرخصة قاعدة عظيمة من قواعد هذا الدين، فهي تشمل جميع أمور الدين وجوانبه في العقيدة والعبادة والمعاملة والعقوبات وغيرها. وهي منحة وصدقة من الله لعباده، كما قال ﷺ: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»(١).

المسألة الرابعة: أمثلة اليسر في الدين

سبق بيان مفهوم اليسر، وهو: اللين والانقياد،و المسيرة، وتيسر الشيء واستيسر، تسهل، واليسر ضد العسر (٢).

ومن أمثلة اليسر في الشريعة الإسلامية ما يلي:

١ - الأصل في الأشياء الإباحة.

فأهم المرتكزات التي قام عليها منهج التيسير في الإسلام أن الأصل في الأشياء الحل، والإباحة، وليس منعها وحرمتها، فكل ما خلق في هذا الكون مسخرٌ للإنسان ومهيأ للاستمتاع به، ما لم يكن فيه نهي صريح ، يقول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) أخرجه مسلم(ص: ٢٦٩ رقم ٦٨٦) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٥: ٢٩٥)مادة (يسر).

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣].

وبما أن الشارع قد بيّن ذلك فلا يحق لأحد أن يحرم هذا المباح، فإنه بذلك يدخل في نطاق التنطع والتعنت المنهي عنه، ومن أجل ذلك جاء التحذير الرباني بالنهي عن تحريم الأمور المباحة أو تحليل المحرم، فقد كان هذا السؤال سببًا لإخراج الناس من الدين الحق ، وإحلال غضب الله عليهم، كما حدث لبعض الأمم السابقة، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠١- ١٠٢].

٢ – العفو عن الخطأ والنسيان والإكراه.

تظهر سماحة الإسلام في توافقه مع الفطرة الإنسانية السليمة التي خلقها في نفس الإنسان، ومن هذه الفطرة الخطأ الذي يقع فيه الإنسان في معظم أحواله من غير قصد، وكذلك ما يعتريه من النسيان، وهو ما ذكره الله – تعالى – على لسان المؤمنين الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال الله تعالى: قد فعلت(١).

وأما الاستكراه فهو أمر خارج عن إرادة الإنسان، لا يستطيع كل إنسان

---

(١) أخرجه مسلم (ص: ٦٧ رقم ١٢٦) كتاب الإيمان.

أن يتحمل ما قد يتعرض له من أذى أو ضرر أو تهديد بالقتل وغيره، فحينها رخص له الشارع أن يتنازل عن بعض مفاهيمه الدينية تخلصًا من الحال التي يعانيها ، والعذاب الواقع عليه كما حصل لعمار بن ياسر رضي الله عنهما، حينما ذكر آلهة قريش بخير ونال من رسول الله ﷺ تحت وطأة التعذيب، وقتل أبواه أمام عينيه فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام: «**كيف تجد قلبك؟**»، قال: مطمئنًا بالإيمان ، قال النبي ﷺ: «**إن عادوا فعد**»(١).

٣- الرخصة في العبادات.

الرخص في العبادات، والتيسير فيها كثير جدا، بل القاعدة العامة، هو أن الله تعالى لم يكلفنا ما لا نطيق في العبادات، وفي غيرها، ولو أخذنا الرخصة والتيسير التي منحها الله لنا في الصلاة فقط، لرأينا من ذلك الكثير من تلك الرخص واليسر والسهولة، فمن اليسر في الصلاة، ما يلي:

أ – التيمم للصلاة لمن لم يجد الماء، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك(٢ : ٣٥٧ رقم ٣٣٦٢). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة:٦].

ب – **القصر في السفر**: وذلك بقصر الصلاة الرباعية المفروضة.

ج – **الجمع بين صلاتين**؛ صلاتي الظهر والعصر، وكذا المغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير.

د- **الرخصة في الحيض والنفاس**، وهما عذران للصلاة والصيام ومسّ المصحف والطواف بالنسبة للمرأة.

هـ **الرخصة في صلاة الخوف**، وقد سبق من حديث صالح بن خوات عمن صلَّى مع رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائما وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم)[1].

ز- **الرخصة في عدم القيام**، لمن لم يستطع، مع أن القيام شرط من شروط الصلاة، فيرخص للمريض أن يصلي قاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، وقد جاء من حديث عمران بن حصين ﷺ قال كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «**صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب**»[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري(ص: ١٧٨ رقم ١١١٧)، كتاب التقصير، باب من لم يطق قاعدا صلى على جنب.

الوقفة السابعة
الفأل وعدم اليأس

دل الحديث على الاستبشار بالعواقب والنتائج عند ما يقول الإنسان بعمل من الأعمال الحسنة، والاستبشار هو الفأل بالقبول، وحصول المطلوب، ولذلك نتناوله في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: مفهوم الفأل والفرق بينه وبين الطيرة.

المسألة الثانية: أهمية الفأل ومكانته في الشريعة الإسلامية.

المسألة الثالثة: حكم الفأل.

المسألة الأولى: مفهوم الفأل والفرق بينه وبين الطيرة

الفأل هو: قول أو فعل يستبشر به، وقد قيل للنبي ﷺ: ما الفأل؟ قال: **«قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»**[١]، وهو ضد الطيرة، والفال مهموز وقد لا يهمز قال أهل المعاني الفال فيما يحسن وفيما يسوء والطيرة فيما يسوء فقط.

قال بعضهم: الفال فيما يحسن فقط، والفال ما وقع من غير قصد **بخلاف الطيرة**[٢].

فالفأل لا يكون إلا فيما يحسن، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وهو: كأن يكون الرجل مريضا فيسمع آخر يقول يا سالم، أو يكون طالبا فيسمع آخر يقول يا واجد، يقال تفاءلت بكذا، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته [٣].

الفرق بين الفأل والطيرة:

تبين من خلال ما سبق، أن بين الفأل والطيرة فروقا، ومنها:

- الفأل لا يكون إلا فيما يحسن، من الأقوال والأفعال.

والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، من الأقوال والأفعال، الصادرة من

---

(١) أخرجه البخاري(ص: ١٠١٦ رقم ٥٧٥٤)، كتاب الطب، باب الفأل، ومسلم (ص: ٩٨٧ رقم ٢٢٢٤)، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل.

(٢) مقدمة فتح الباري(ص: ١٦٠).

(٣) ينظر: الصحاح(٢: ٣٢)، والقاموس المحيط(١: ١٣٤٥)، والمعجم الوسيط(٢: ٦٧١)، ولسان العرب(١١: ٥١٣).

الإنسان أو الحيوان.

- الفأل يكون من حسن الظن بالله تعالى، والرجاء ما عنده، بسبب ما سمع أو رأى.

والطيرة فيها سوء الظن بالله تعالى، بسبب ما سمع أو رأى من الأفعال أو الهوام ونحو ذلك.

- الفأل لا يخل بعقيدة الإنسان و لا بعقله، و ليس فيه تعليق للقلب بغير الله.

والطيرة، فيها فساد للعقيدة، لما فيها من سوء الظن بالله تعالى.

قال ابن حجر: والقدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه والفأل في ذلك أبلغ، ثم نقل عن الخطابي أنه قال: وإنما كان ذلك لأن مصدر الفأل عن نطق وبيان فكأنه خبر جاء عن غيب بخلاف غيره فإنه مستند إلى حركة الطائر أو نطقه وليس فيه بيان أصلا وإنما هو تكلف[1].

المسألة الثانية: أهمية الفأل ومكانته في الشريعة الإسلامية

والتفاؤل ضد التشاؤم، والتفاؤل ينبني على حسن الظن بالله عز وجل، ولذلك بين النبي ﷺ، وثبت من سنته أنه كان يحب الفأل[2]. فالإنسان إذا كان في سفر وسمع رجلا ينادي ويقول: يا سالم ، تفاءل أن الله يسلمه، وإذا كان في أمر فسمع رجلا ينادي يا صالح فسمع باسم صالح فتفاءل أن الله

---

(١) فتح الباري(١٠: ٢١٤).

(٢) سبق تخريجه في المسألة التي قبلها.

يصلح له الأمر، هذا مستحسن شرعا؛ لأن الأصل في المسلم أن يحسن الظن بالله؛ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**»[(١)]، وقال: «**قال الله تعالى:أنا عند ظن عبدي بي**» أخرجه البخاري[(٢)]، ومسلم، وزاد أحمد: «**فليظن بي ما شاء**»[(٣)].

ومن أهمية الفأل أن فيه تعليق القلب بالله تعالى، وإدخال النشاط والسرور على القلب، وتقوية العزائم والهمم، وشحذ النفوس للسعي في تحقيق المقاصد النافعة والغايات الحميدة، بخلاف الطيرة، فإن فيها فسادا للعقيدة، والعقل، وتعليق القلب بغير الله تعالى لما فيها النظرة المتشائمة التي تخلخل التفكير وتعوق القلب وتقطع النفس وتثبط الهمم وتجلب لصاحبها التواني والكسل.

والتفاؤل سنة النبي ﷺ؛ ولذلك لما كان صلح الحديبية، وبعثت قريشا من يفاوض إلى أن بعثت سهيلا. سأل النبي ﷺ عن الرجل الذي بعثته. فقالوا: سهيل. فقال عليه الصلاة والسلام: «**سهل لكم**»، وذلك لما روى البخاري في صحيحه من طريق الزهري قال: لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ لقد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء

---

(١) أخرجه مسلم(ص: ١٢٤٦ رقم ٢٨٧٧)، كتاب الفتن، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى.

(٢) صحيح البخاري(ص: ١٢٩٢ رقم ٧٥٠٥)، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، ومسلم(ص: ١١٨٩ رقم ٢٦٥٧) كتاب التوبة، باب في الحظ على التوبة والفرح بها.

(٣) أخرجه أحمد(٣: ٤٩٢ رقم ١٦٠٥٩).

سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم... الحديث[١].

المسألة الثالثة: حكم الفأل، والطيرة

كما سبق في مفهوم الطيرة والفأل أن أحدهما فيما يحسن من القول والفعل، والآخر فيما يسوء من ذلك، فأحدهما مشروع، ومندوب إليه، ومحبوب إلى النبي ﷺ، وهو: الفأل، والآخر منفي في الدين، وغير مشروع، ومنهي عنه، ولا يجلب مكروها، ولا يرد محبوبا، وهو: الطيرة.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا طيرة وخيرها الفأل**»، قالوا وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»[٢].

ففي الحديث السابق، نفى رسول الله ﷺ الطيرة، وأفاد أنها لا تقدم ولا تؤخر، لكنها، لكنها تفسد الدين والعقل، وتثبط القلب، والفأل، حسن ظن بالله، وهو يصلح العقائد لربطها بالله، وينعش القلب، ويبعث على النشاط.

فكان ﷺ يعجبه الفأل والفأل كل ما ينشط الإنسان على شيء محمود من قول أو فعل مرئي أو مسموع وهو مستحب وكل ما أعجب النبي فهو حسن.

وقد بين الفأل بقوله: «**الكلمة الطيبة**» والكلمة الطيبة تعجبه ﷺ لما فيها

---

(١) صحيح البخاري(ص: ٤٤٧ رقم ٢٧٣٢)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة...

(٢) سبق تخريجه.

من إدخال السرور على النفس والانبساط والمضي قدماً لما يسعى إليه الإنسان وهي تفتح القلب وتكون سبباً لخيرات كثيرة، وقد قال النبي ﷺ: «**الكلمة الطيبة صدقة**»(١).

ومن هنا ينبغي للمسلم وهو يعيش في هذه الحياة -أيا كان عمله- أن يتفاءل ويستبشر بمستقبله، ويحذر من التشاؤم، فهو طريق من طرق الشيطان ليحزن المسلم ويكدر عليه صفو حياته، ويسد عليه منافذ السرور، وأبواب الخير، فإذا ما عصاه المسلم وأصبح متفائلا مستبشرا حصل له الخير العظيم في دنياه وآخرته، لكن عليه العمل والجد والاجتهاد والحذر من الكسل والخمول معتمدا على التفاؤل.

---

(١) علقه البخاري (ص١٠٥٢: رقم ٦٠٢٢) كتاب الأدب، باب الطيب من الكلام. وأوصله أحمد (٢: ٣١٦ رقم ٨١٦٨). وهو حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

الوقفة الثامنة
إياك والعجب في العمل

دل الحديث على عدم الاتكال وعدم الغرور والعجب والعجب فيه، بل الاعتماد يكون على رحمة الله تعالى جل وعلا، ولذلك نبحث الإعجاب وخطره في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: مفهوم العجب، والفرق بينه وبين الرياء.

المسألة الثانية: خطورة العجب على العمل الصالح.

المسألة الثالثة: مخاوف السلف الصالح من العجب.

المسألة الرابعة: منشؤ العجب وعلاجه.

المسألة الأولى: مفهوم العجب، والفرق بينه وبين الرياء

العجب: بالضم تصور شخص استحقاق رتبة لا يكون مستحقا لها[١].

وهو الزهو بالنفس، واستعظام الأعمال والركون إليها، وإضافتها إلى النفس مع نسيان إضافتها إلى المنعم سبحانه وتعالى.

وأما العجب في الاصطلاح: فهو استعظام النّعمة والرّكون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم عزّ وجلّ[٢].

وقد فرّق شيخ الإسلام ابن تيمية بين العجب والرياء، فقال: (وكثيرا ما يقرن الرياء بالعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فمن حقق قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج عن الرياء ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب)[٣].

قال الحسني: (وأما العجب فهو رؤية النفس وإسناد العمل إليها ورؤية المزية لها على الناس. قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] قيل: معناه إذا عملت عملاً فلا تقل عملت ولا تظهر عند من يعظمك لأجل

---

(١) التعريفات للجرجاني(ص: ٥٠٤).

(٢) إحياء علوم الدين(٣: ٣٧٠).

(٣) إقامة الدليل على إبطال التحليل(٣: ٤٤٥)، وانظر مجموع الفتاوى(١٠: ٢٧٧).

علمه بذلك)[١].

قال الماوردي: وإذا اجتمعا الكبر والعجب فإنهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرّذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح ولا قبول لتأديب[٢].

ومن أكثر ما يجلي العجب، وينميه: حب الظهور والتميز على الأقران، وإظهار البراعة وعمق الثقافة، والتعالي على النظراء والأنداد.

أخرج الطبراني من حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات. فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأما المنجيات: فالعدل في الغضب، والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية. وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات. وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وصلاة بالليل، والناس نيام»**.

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن سعيد بن جبير إلا عطاء بن دينار، ولا عن عطاء إلا ابن لهيعة، تفرد به: الوليد بن عبد الواحد، ولا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد[٣].

وإذا عرفنا أن العجب هو: تصور استحقاق المسلم رتبة، لا يكون

---

(١) إيقاظ الهمم شرح متن الحكم(ص: ٢٠٧).

(٢) أدب الدنيا والدين(ص: ٢٣١).

(٣) المعجم الأوسط (٥: ٣٢٨ رقم ٥٤٥٢).

مستحقا لها، فإن ذلك هو الكبر بعينه، ولا يخفى على المسلم خطورة الكبر، على المسلم، وعلى الدين، وأنه هو سبب إخراج إبليس من الجنة، وسبب طرده من رحمة الله تعالى.

المسألة الثانية: خطورة العجب

تأتي خطورة هذا الداء العضال الذي كان يخاف منه الراسخون في العلم، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، ألا وهو داء العجب، تأتي من عدة أمور، أبرزها:

١- الآيات والأحاديث الواردة في التحذير منه، أو الحديث عمن أهلكهم العجب، فمن القرآن، قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٣ - ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

ومن الأحاديث النبوية الواردة: قوله ﷺ: «خرج رجل ممن كان قبلكم في حلة له يختال فيها فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها أو قال

يتلجلج فيها إلى يوم القيامة»[١].

وأخرج أبو عوانه من حديث ابن عباسب أن رجلا قال يوم حنين: (لا نغلب اليوم من قلة)، فابتلوا بكلمته، فانهزموا حتى لم يبق مع النبي ﷺ إلا العباس، وأبو سفيان بن الحارث ب ، قال العباس: ونزل القرآن ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[التوبة: ٢٥][٢]. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث صحيح.

فاقتضت حكمته سبحانه أنه أذاق المسلمين الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وقوة شوكتهم وليبين لمن قال (لن نغلب اليوم عن قلة)أن النصر إنما هو من عنده وأن من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له غيره[٣].

٢- من كونه يعرّض المسلم لمخاطر في دينه، ودنياه.

قال الماوردي: وأما الإعجاب فيخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب المذام، ويصد عن الفضائل.. وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حد، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة، وبمذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق ، ويكسبه من حقد[٤].

---

(١) سنن الترمذي(ص: ٥٦٧ رقم ٢٤٩١).

(٢) مستخرج أبي عوانة (٧: ٤٧٨).

(٣) بتصرف من كلام ابن القيم ،زاد المعاد (٣: ٤١٨).

(٤) أدب الدنيا والدين(١: ٢٨٧).

وقد ذكر الغزالي عدة آفات مباشرة، وغير مباشرة للعجب، فمن آفات العجب المباشرة التي ذكرها الإمام الغزالي:

- أن العجب يدعو إلى نسيان الذّنوب وإهمالها، ويستعظم صاحبه العبادات والأعمال ويتبجّح بها، ويمنّ على الله بفعلها ثمّ إذا أعجب بها نسي آفاتها، ومن لم يتفقّد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعا.

المسألة الثالثة مخاوف السلف الصالح من العجب

لعلم السلف بمخاطر العجب، فإنهم كانوا يخافون منه أشد الخوف، ويهربون منه كل مهرب، ومن أجل ذلك كانوا يخفون أعمالهم الصالحة ما استطاعوا، ذلك أن العجب يورث الكبر الباطن، والكبر يثمر التّكبّر الظّاهر في الأعمال والأقوال والأحوال.

وقد حمت الشريعة الغراء المسلم من العجب والرياء والسمعة، فنهى رسول الله ﷺ عن التمادح. والتمادح قد يفضي إلى العجب، وأمر بإخفاء الصدقة، وإظهارها قد يؤدي إلى ذلك، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أشد الناس بعد الأنبياء حذرا من العجب، ففي حديث سئل ابن المبارك عن العجب؟ قال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨: ٤٠٧).

وقال مطرف بن عبد الله[١]: لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً[٢].

وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئاً؟: قالت: إذا ظن أنه محسن[٣].

ويبين تخوف السلف من العجب، وشدة اتقائهم له، وحرصهم على إخفاء أعمالهم، وخوفهم من أن ينسب إليهم الحمد وهم لا يستحقونه، يبين ذلك كله قصة حصين بن عبد الرحمن[٤]، حيث قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت: قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي قال: وما حدثكم؟

قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال: **«عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي،**

---

(١) مطرف بن عبد الله ابن الشخير الأمام القدوة الحجة أبو عبد الله البصري ثقة له فضل وورع وعقل توفي عام ٨٦هـ انظر السير(٤: ١٨٧).

(٢) السير (٤: ١٩٠)

(٣) إحياء علوم الدين(٣: ٣٧٠).

(٤) هو حصين بن عبد الرحمن السلمي، أبو الهذيل الكوفي ثقة مات سنة (١٣٦)هـ.

فقيل لي: هذا موسى وقومه فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ.

وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم قال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عكاشة»[1].

فهذا التابعي الجليل، خشي أن يظن الناس أنه كان يصلي حين قال: رأيت الكوكب، فأسرع إلى إبعاد ما قد يفهمه الناس عنه، فيحمدونه، وهو لم يفعل، وكانوا رضوان الله عليه يخفون أعمالهم؛ خشية أن يدخلهم شيء من العجب.

المسألة الرابعة: منشأ العجب وعلاجه

ينشأ العجب من أمور عدة، ويكون علاجه بضدها؛ لأن ذلك يختلف باختلاف ما يحدث به العجب:

فإن كان ناشئا عن حالة البدن وما يتمتّع به صاحبه من الجمال والقوّة ونحوهما، فعلاجه التّفكّر في أقذار باطنه، وفي أوّل أمره وآخره، وفي الوجوه

---

(١) أخرجه مسلم (ص: ١١ رقم ٢٢٠) كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

الجميلة والأبدان النّاعمة، كيف تمرّغت في التّراب وأنتنت في القبور حتّى استقذرتها الطّباع.

وإن كان العجب ناشئا عن البطش والقوّة، فعلاج ذلك أنّ حمّى يوم تضعف قوّته، وأنّها ربّما سلبت منه بأدنى آفة يسلّطها الله عليه.

وإذا كان العجب بالعقل والكياسة، فعلاجه شكر الله تعالى على ما رزق من عقل، والتّفكّر في أنّه بأدنى مرض يصيب دماغه، كيف يوسوس ويجنّ بحيث يضحك منه.

وإن كان العجب بالنّسب الشّريف، فعلاجه أن يعلم أنّه إن خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظنّ أنّه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بهم فما كان العجب من أخلاقهم، وأنّهم شرفوا بالطّاعة والعلم والخصال الحميدة.

وإذ كان العجب بكثرة الأموال والأولاد والخدم والأقارب والأنصار، فعلاجه أن يعلم ضعفه وضعفهم وأنّ للمال آفات كثيرة، وأنّه غاد ورائح ولا أصل له.

أمّا إذا كان العجب بالرّأي الخطأ، فعلاجه أن يتّهم الإنسان رأيه وألّا يغترّ به[1].

---

(١) بتصرف من إحياء علوم الدين(٣: ٣٧٤-٣٧٨).

الوقفة التاسعة
دخول الجنة برحمة الله

دل الحديث على أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، ولكن بفضل الله ورحمته، وهذه مسألة عظيمة، يحتاج أن يتنبه لها المسلم، ونتعرض لها من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: مفهوم الجنة.

المسألة الثانية: أوصاف الجنة وأهلها.

المسألة الثالثة: دخول الجنة بفضل الله ورحمته أو بالعمل؟.

المسألة الرابعة: الجنة هي الغاية.

المسألة الأولى: مفهوم الجنة

قال الراغب الأصفهاني في المفردات: أصل الجَنّ: ستر الشيء عن الحاسة، ستر الشيء عن الحاسة، يقال: جَنَّهُ الليل وأَجَنَّه وجَنَّ عليه فجنه: ستره وأجنه جعل له ما يُجنه كقولك: قبرتُه وأقبرته وسقيته وأسقيته وجَنَّ عليه كذا ستر عليه قال الله -عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٦].

والجنان: القلب، القلب لكونه مستوراً عن الحاسة، هذا هو الأصل؛ لأنه محبوس في القفص الصدري والظهر، هذا هو الأصل فيه، لا يقول: إن الجنان الآن يمكن الاطلاع عليه بالعمليات الجراحية، هذا خلاف الأصل.

والجِنان: القلب لكونه مستوراً عن الحاسة، والمجِن والمجِنة: الترس الذي يُجِن صاحبه. يقول الله -عز وجل-: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة:١٦] وفي الحديث: «الصوم جُنّة»[1]، هم يسترون بأيمانهم، يعني المنافقين، والصائم يستتر بصيامه ويقيه صيامه، ويستره عن عذاب الله تعالى.

ومن ذلك الجنين؛ لأنه مستور في الظلمات الثلاث، والجِن مستترون عنا، لا نراهم، وكذلك الجُنُون الآفة التي تغطي وتستر العقل عن مزاولة ما يزاوله غيره ممن لم يتصف بوصفه.

---

(١) أخرجه البخاري(٣: ٣٤ رقم ١٩٠٤) كتاب الصيام، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم؟.

والجَنّة: كل بستان ذي شجر، يستر بأشجاره الأرض يقول الله -جل وعلا-: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ:١٥] ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ:١٦] ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩]، كل هذه بساتين.

أما جنة الآخرة فتأتي أوصافها في المسألة التالية.

المسألة الثانية: أوصاف الجنة وأهلها

وردت أوصاف كثيرة في الكتاب والسنة للجنة وأهلها، فمن أوصاف الجنة، ما يلي:

أولًا: «سعة الجنة وعرضها» وقد ورد عرضها في الكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع

الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى»[١].

وفي حديث حكيم بن معاوية عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين»[٢].

ثانيًا: ما بنيت به الجنة، سأل أبو هريرة ﷺ رسول الله ﷺ عن بناء الجنة، فقال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ و الياقوت وتربتها الزعفران»[٣].

ثالثًا: أبواب الجنة، الجنة لها أبواب، وقد ورد في ذلك أدلة من الكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿ جَنَّتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص:٥٠] وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزُّمَر:٧٣].

وقال النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»[٤].

وقال النبي ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم

---

(١) صحيح البخاري(٦: ١٠٧ رقم ٤٧١٢)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ ذرية من حملنا مع نوح﴾، ومسلم (١: ١٨٤ رقم ١٩٤)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة.

(٢) أخرجه ابن حبان (في صحيحه(١٦: ٤٠١ رقم ٧٣٨٨).

(٣) أخرجه ابن حبان((١٦ / ٣٩٦ رقم ٧٣٨٧)، وأحمد (٢ / ٤٤٥ رقم ٩٧٤٢) وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه البخاري(٤: ١٥٤ رقم ٣٢٥٧) كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة.

وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»[1].

رابعًا: ثمرات الجنة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥] وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٤-١٦].

وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد:٣٥].

خامسًا: أنهار الجنة، وقد ورد ذلك في الكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ۖ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ۖ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۖ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] وغيرها من الآيات.

سادسًا: فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن

---

(١) رواه البخاري(٤: ٢٠١ رقم ٣٤٣٥) كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿.....﴾، ومسلم (١: ٥٧ رقم ٢٨) كتاب الإيمان.

قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧]. وقال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾»(١).

سابعًا: نساء الجنة. قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٦-٥٨]. وقال الله جل وعلا: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٧٠- ٧٤].

وأما أهل الجنة، فقد وردت لهم أوصاف عدة في الكتاب والسنة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان:١٧ - ٢١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل

---

(١) أخرجه البخاري (٤: ١٤٣ رقم ٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة ومسلم(٤: ٢١٧٤ رقم ٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

واحد لا اختلاف بينهم، ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون، ولا يمتخطون، ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب وقود مجامرهم الألوة»[1].

وهناك أوصاف عدة لم نذكرها اختصارا، وقد ذكر أكثرها العلامة ابن قيم الجوزية في نونيته، حيث قال واصفا الجنة، وأهلها:

هي جنة طابت وطاب نعيمها ... فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنـ ... ـزل عسكر الإيمان والقرآن
فالدار دار سلامة وخطابهم ... فيها سلام واسم ذي الغفران

* * * * *

فصل
في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

درجاتها مائة وما بين اثنتيـ ... ـن فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبين هذي ... الأرض قول الصادق والبرهان
لكن عاليها هو الفردوس مسـ ... ـقوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجنان وعلوها فلذاك كا ... نت قبة من أحسن البنيان
منه تفجر سائر الأنهار فالـ ... ـينبوع منه نازل بجنان

---

(١) أخرجه البخاري(٤: ١٤٣ رقم ٣٢٤٦).

فصل
في أبواب الجنة

أبوابها حق ثمانية أتت ... في النص وهي لصاحب الإحسان
باب الجهاد وذاك أعلاها وبا ... ب الصوم يدعي الباب بالريان
ولكل سعي صالح باب ورب ... السعي منه داخل بأمان
ولسوف يدعى المرء من أبوابها ... جميعا إذا وفى حلى الإيمان
منهم أبو بكر الصديق ذا ... ك خليفة المبعوث بالقرآن

* * * * *

فصل
في مقدار ما بين الباب والباب منه

سبعون عاما بين كل اثنين منـ ... ـها قدّرت بالعد والحسبان
هذا حديث لقيط المعروف بالـ ... ـخبر الطويل وذا عظيم الشأن
وعليه كل جلالة ومهابة ... ولكم حواه بعد من عرفان
ولسوف يدعى المرء من أبوابها ... جميعا إذا وفى حلى الإيمان
منهم أبو بكر الصديق ذا ... ك خليفة المبعوث بالقرآن

* * * * *

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب

لكن بينهما مسيرة أربعيـ ـن رواه حبر الأمة الشيباني
في مسند بالرفع وهو لمسلم وقف كمرفوع بوجه ثان
ولقد روى تقديره بثلاثة الـ أيام لكن عند ذي العرفان
أعني البخاري الرضي وهو منكر وحديث رواية ذو نكران

* * * * *

فصل

في مفتاح باب الجنة

هذا وفتح الباب ليس بممكن إلا بمفتاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الإخلاص والتو حيد تلك شهادة الأيمان

وأطال رحمه الله تعالى في ذكر أوصافها بغير ما ذكرت هنا[1].

* * * * *

(١) كتن القصيدة النونية، من ص: (٣٠٩- ٣٢٠).

المسألة الثالثة: دخول الجنة بفضل الله ورحمته أو بالعمل؟

وردت أدلة كثيرة مفادها أن دخول الجنة إنما يكون بفضل الله تعالى ورحمته، ومنها: حديث الباب، الذي وقفنا معه هذه الوقفات، وهو قوله ﷺ: «ما من أحد يدخله عمله الجنة» فقيل ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني ربي برحمة»[1]. فظاهر هذا النص أن العمل لا يدخل الجنة، وإنما فضل الله ورحمته هو الذي يدخل الجنة.

ووردت أدلة أخرى مفادها أن الإنسان إنما يدخل الجنة بعمله، ومنها: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النحل:٣٢] وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزُّخرُف:٧٢]، فأخبر أن دخول الجنة بالأعمال أيضًا.

وقد أجاب أهل العلم عن هذا الإشكال، ومن ذلك:

قول الحافظ ابن حجر: إن الباء في قوله ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ للمصاحبة أو للإلصاق أو المقابلة ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية.

قال ابن حجر: ثم رأيت النووي جزم بأن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال والجمع بينها وبين الحديث أن التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بسبب العمل

---

(١) سبقت تخريجه في المقدمة

وهو من رحمة الله تعالى[١].

وأما ابن قيم الجوزية فكان له جواب آخر، فقال: هذه الدرجات كلها إنما تعمر ويقع التفاوت فيها بحسب الأعمال كما قال غير واحد من السلف: ينجون من النار بعفو الله ومغفرته، ويدخلون الجنة بفضله ونعمته ومغفرته، ويتقاسمون المنازل بأعمالهم وعلى هذا حمل غير واحد ما جاء من إثبات دخول الجنة بالأعمال كقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، قالوا: وأما نفي دخلوها بالأعمال كما في قوله ﷺ: **«لن يدخل الجنة احد بعمله»** قالوا ولا أنت يا رسول الله قال: **«ولا أنا»** فالمراد به نفي أصل الدخول.

قال: وأحسن من هذا أن يقال: الباء المقتضية للدخول غير الباء التي نفى معها الدخول، فالمقتضية هي باء السببية الدالة على أن الأعمال سبب للدخول مقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها والباء التي نفى بها الدخول هي باء المعاوضة والمقابلة التي في نحو قولهم: اشتريت هذا بهذا فأخبر النبي ﷺ أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وأنه لولا تغمد الله سبحانه لعبده برحمته لما أدخله الجنة، فليس عمل العبد وان تناهى)[٢].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن المنفي في الحديث هو: دخولها بالعمل المجرد عن القبول والمثبت في الآية، ودخولها بالعمل المتقبل، والقبول إنما يحصل من الله تفضلاً ورحمة.

---

(١) فتح الباري(١١: ٢٩٧)، وينظر: شرح النووي على مسلم(١٦١:١٧)..

(٢) مفتاح دار السعادة(١: ٨) بتصرف يسير.

المسألة الرابعة: الجنة هي غايتنا

عندما يقرأ المسلم هذه الآيات والأحاديث والأبيات السابقة التي تصف الجنة وتذكر ما أعد الله فيها لعبادة المتقين يكاد يطير من الفرح والشوق لذلك المكان العالي الذي لا ينال إلا برحمة الله عز وجل، (فالشوق يحمل المشتاق على الجد في السير إلى محبوبه ويقرب عليه الطريق ويطوي له البعيد ويهون عليه الآلام والمشاق وهو من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده ولكن لهذه النعمة أقوال وأعمال هما السبب الذي تنال به)[1].

وكل ما سبق من المباحث والوقفات التي تناولت ألفاظ الحديث، إنما كان لغرض دخول الجنة، وهو الغاية؛ إذ في الجنة رؤية الله تعالى التي لا نعيم فوقها، فسير الدلجى، والقصد، والتيسير، والرفق، والسداد، والجد، والاجتهاد الذي سبق في الحديث، وما تلاه من مباحث ووقفات، إنما كان كل ذلك من أجل دخول الجنة، وذلك كله بفضل الله ورحمته وتوفيقه؛ إذ هو سبحانه وفقنا للعمل، وأعاننا عليه.

وعلى هذا فيجب على المسلم أن يجد في السير والعمل على قدر الاستطاعة، ومعالجة القلب، وتصحيح المسار، والنظر إلى الغايات، ومداواة القلب، واستغلال الوقت، واستثمار الجهود، وتنوع الأعمال، والتركيز على المهمات، والعمل بالأولويات، وترتيب البرامج في ضوء ذلك كله، من أجل الوصول إلى هذه الغاية العظيمة والمطلب الأسمى، والهدف الأعلى، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ويجد المجدون، ويتبارى العاملون، حقق الله تعالى لي ولكم ذلك.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) مختزل من كلام ابن القيم في زاد المعاد(٣: ١٥).

الخـاتمـة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه،أحمده سبحانه أن من علي باختيار هذا الحديث والبحث فيه وإخراجه بصورته التي هو فيها، فهو بحث متواضع يبحث في حديث من أعظم الأحاديث وأجلها، وأنفعها للإنسان، فما كان فيه من صواب فمن الله عز وجل وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان ،اسأل الله العلي القدير أن ينفعني بما فيه وأن يجعل ما كتبته حجة لي لا علي.

وقد احتوى البحث على مسائل مهمة، ومنها:

- العمل الصالح سبب لدخول الجنة وعلى العبد فعل الأسباب والتوكل على الله تعالى، ولا تعارض بين العمل ورحمة الله في دخول الجنة، فإن من فضل الله ورحمته للعبد أن وفقه للعمل الذي كان سببا لدخوله الجنة..
- أن الدين يسر ولم يكلف الله العبد إلا ما يطيقه.
- على العبد أن يتفائل برحمة الله الرحمن الرحيم وأن يتفائل بقبول عمله الصالح.
- العجب بالعمل يهلك الإنسان ويبطل عمله من حيث لا يعلم؛ لأنه كان يرى نفسه أنه يحسن صنعا، ولكنه مع الهالكين؛ لأن العجب يقضي على العمل.

- **التوازن سنة الله في الحياة وعلى الإنسان** تحقيق هذا التوازن في جوانب حياته كلها، الدينية والدنيوية.

- **دخول الجنة برحمة الله تعالى** واقتسام الدرجات فيها بالأعمال.

- **على الإنسان التسديد والمقاربة** فيعمل الصواب فإن عجز فليقرب منه.

- **على الداعية أن يجعل محمدًا ﷺ قدوته في الدعوة إلى الله حتى يصل بالمدعوين إلى بر الأمان بسلام**، ويحذر من الآفات التي تعرض عليه، فإن الدعوة من أهم الأعمال الصالحة، ولذا فإن الشيطان حريص على وضع العقبات والعثرات في طريق هذا الداعية، وبخاصة في مسائل العجب والغرور، وحب الشهرة والشهوة، والنظر إليه، وأن القول قوله، والرياء والسمعة....الخ. ذلك من أمراض القلوب وآفاتها.

نسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا، وأن يعفو عن أخطائنا، وزلاتنا، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصوابا على منهاج سيد المرسلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أ.د: فالح بن محمد بن فالح الصغير

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢ – **العبودية:** شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (لا يوجد على الكتاب أي معلومات ـ وهو من تقديم الأستاذ عبد الرحمن الباني عام ١٣٨٢ هـ).

٣ - **القول المفيد على كتاب التوحيد:** شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٤- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** للقاضي أبي محمد عبد بن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥ - **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب:** للإمام ابن قيم الجوزية،تحقيق: عبدالرحمن حسن، دار عالم الفوائد، ط١،١٤٢٥هـ.

٦- **زاد المعاد:** ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الارنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٢هـ.

٧- **سنن النسائي:** أحمد بن شعيب بن علي، تعليق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ط١.

٨- **سنن أبي داود:** سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١.

٩- **سير أعلام النبلاء:** محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤٢٢هـ.

١٠- **شرح النووي على مسلم**: للإمام الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، بيت الأفكار الدولية.

١١- **شرح رياض الصالحين**: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

١٢- **شرح ثلاثة الأصول**: للشيخ محمد العثيمين، إعداد: فهد السليمان، دار الثريا، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٣- **صحيح البخاري**: للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، مراجعة: الشيخ محمد القطب والشيخ هشام البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ.

١٤- **صحيح مسلم**: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، مكتبة الرشد، ط١٤٢٢-٢٠٠١م.

١٥- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١٦- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: للحافظ ابن حجر العسقلاني، تعليق: عبد السلام علوش، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٧- **لسان العرب**: لابن منظور، دار صادر، بيروت.

١٨- **متن القصيدة النونية**: للإمام ابن قيم الجوزية، دار الآثار، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٩- **معجم مقاييس اللغة**: لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ناشر مكتبة الخانجي بمصر، ط٣، ١٤٠٢هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
وقفات الحديث	
الوقفة الأولى: تخريج الحديث	٦
الوقفة الثانية: غريب الحديث	١٠
الوقفة الثالثة: نظرة عامة على الحديث	١٦
الوقفة الرابعة: الاجتهاد في العمل الصالح	٢٢
الوقفة الخامسة: التسديد والمقاربة في العبادة	٥٥
الوقفة السادسة: اليسر في الدين	٦٤
الوقفة السابعة: الفأل وعدم اليأس	٧٣
الوقفة الثامنة: إياك والعجب	٧٩
الوقفة التاسعة: دخول الجنة برحمة الله	٨٨
الخاتمة	١٠٠
فهرس المصادر والمراجع	١٠٢
فهرس الموضوعات	١٠٤

* * *